تجلید سکتب
صباح

No use.

[redacted]

الهرميل، محمد .

لن نرجع الى الوراء ابدا .

[redacted]

J. Lib.

AP 5 56

309.162
H66LA

محمد الطرابيشي
المحامي

لن نرجع إلى الوراء أبدًا ... !

« عندما يطرق الرقي باب أمة من الأمم يسأل ... أهنا فكر حر؟ فان وجده دخل وإلا مضى »
توماس بين

الطبعة الأولى

فبراير سنة ١٩٥٤

الناشر

دار الفكر الحديث للطبع والنشر

٤٠ شارع فهيم ت: ٢٠١٤٠

مُقَدِّمَة

إن صراعا عظيما فى تاريخ المجتمع المصرى يقوم الآن بين عقليتين: عقلية القرون الوسطى وعقلية القرن العشرين ... وبعبارة أخرى بين الرجعية التى تريد ابقاء نظمنا الاجتماعية والاقتصادية كالمومياء المحنطة لاتدب فيها حياة ولا يجرى فيها دم جديد ؛ وبين التقدمية التى تبغى تحرير هذه النظم من الجمود والتزمت ليندفع المجتمع بعد ذلك إلى موكب الحضارة والتطور .

وليس هذا الصراع — فى الناحية الاجتماعية — بجديد على المجتمع المصرى ، بل هو حلقة من الحلقات التى بدأت منذ نصف قرن مضى ، حيث كان زعيما من زعماء الفكر ورائداً من رواد الانسانية العظام وهو المرحوم قاسم أمين يصوب سهامه القاتلة إلى قلب الرجعية فيرديها .

ولقد أحرزت التقدمية انتصارات باهرة فى الجولات السابقة ، وآية ذلك ماتراه الان من مظاهر المدنية والتطور فى مجتمعنا وخصوصا انطلاق المرأة من اغلال الحريم .

ولكن طبيعة الرجعية تأبى أن تسلم بالهزيمة وتظل تدافع إلى آخر رمق لها . وهاهى بعد أن جمعت فلولها - فى جولة جديدة من الصراع ..

تتخذ من مهاجمة المدنية العالمية والتطور الانسانى سلاحا يسندها فى هذا النضال ، وتثبته على فلسفة غبيـــة مثل تشكيكها فى المدنية العالمية ، وقولها أن تقاليدنا تتعارض تعارضاً كلياً مع مايجيئنا به التطور من كل جديد .

ومنطقها هذا سلسلة من الأغاليط يأخذ بعضها برقاب بعض وتمضى نحو غاية واحدة هى الانفصال عن التطور ... التطور الذى تخافه وترهبه ، لما يدخره لها من قوى ستهدمها وتفنيها ... وإذا ماقدر لهذه الفلسفة أن تستعمر عقولنا وتتحكم فى حياتنا ، فان المجتمع سينهار ... وهل يوجد انهيار أقسى وأبشع من تخلفنا عن المدنية والتطور ؟ !

وما دمنا نرباً بمجتمعنا عن أن ينهار ، فلنطلق النفاثات المطهرة فى كل أركان المجتمع لنضع المدنية مكان الهمجية ، والتطور مكان الجمود ، والتحرر مكان القيود .

إن البشرية لتسير دائماً إلى الأمام فى رعاية التطور وزمالته وفى كل خطوة من خطواتها تهدى إلينا أفكاراً جديدة وآراء مناسبة وعوامل ارتقاء ، يلزم لكى نقتنع بها أن تكون عندنا الشجاعة الكافية فى هدم القديم ، ولن تأتينا هذه الشجاعة إلا إذا غيرنا عالمنا العقلى الذى نعيش فيه ، ذلك العالم الموروث من عهود الظلام والرجعية .

ومالم نغير عالمنا العقلى هـذا فلن نقتنع بأى جديد ، ولن نصل إلى مانرجوه من تمدن وارتقاء .

وكتابى هذا يهاجم نوعا معينا من الرجعية يقود المجتمع إلى الانهيار. هى الرجعية الاجتماعية التى لا تقل خطراً عن الرجعية السياسية أو الدينية أو الاقتصادية، والتى تتمثل فى هؤلاء السذج الذين يطالبون بمقاطعة المدنية العالمية التى تحمل عوامل التطور، وفى تلك النظم التى أنت الأسرة المصرية منها وتعثرت، وأخيراً فى التقاليد التى فرضها علينـــا استعمار الخليفة العثمانى وبمقتضاها أصبح مجتمعنا انفصالى، يحاول أن يشل نصف الأمة عن الانتاج والعمل وأن يرجع بنا القهقرى إلى نظام الحريم، وأن يضيق الخناق حول حياتنا فيجعلها ساكنة لا تتحرك واقفة لا تريم؟

المؤلف

القاهرة فى ١٥ نوفمبر سنة ١٩٥٤

أين مكاننا فى موكب المدنية ؟

فى هذا الفصل : —

- من الماضى إلى الحاضر
- المدنية لا تحتكر
- الروحانية ليس معناها الزهد والرهبنة
- الروحانية لا توجد مع الجوع والفقر .

منذ أن بدأ الإنسان الأول يدب بقدميه على الأرض ، ومنذ أن بدأ يستنشق نسيم الحياة ، وهو أسير ضعيف مبهم وطيد ينبعث من احساسات نفسه وينبع من مطالبها وحاجاتها . يحثه دائما أن ينطلق شجاعا فى موكب الزمن الهادر ، وان يبدد الركام الهائل من الضباب الذى يسد عليه طريقه حيث يندفع باحثا عن عناصر نموه وارتقائه .

ولقد ثبت فى روع الإنسان — فى يومه البعيد — أن ما من صديق له أو مرشد الا فطرته . . . أجل فطرته التى كانت له هاديا إلى مطالبه وحاجاته . انها إذن كانت ترتاد له الطريق وتناديه : أن اتبعنى فأنا دليلك فى الوجود .

ترى ما الذى كان يريده وهو لم يخط — بعد — العتبة الأولى من الزمن ؟ أيستر عوراته ؟ أيتقى قسوة الطبيعة ونكباتها ؟ أيأكل ويقتات ؟ أجل كان يبغى ذلك . . . ولكن كيف السبيل إلى تحقيق ما يريد ؟!

بدافع فطرته يذهب ليتخذ من أوراق الشجر ملبسا ، ومن الجبال والغابات مأوى حيث يقيم الكهوف التى تقيه من الطبيعة . ومن صيد الحيوانات يأكل ويقتات . ومن الاغارة والخطف على الجنس الآخر يشبع رغباته الجنسية .

أكان يفترق عن الحيوان فى شيء إلا فى المظهر ؟!

أليس الحيوان — أيضا — يتخذ من كهوف الجبال والغابات مأوى ، ومن الصيد والقنص مأكلا ، ومن الأغارة على الجنس الآخر اشباعا لغرائزه ؟!

نعم لم يكن هناك فرق بين الإنسان والحيوان على الأرض ، لا من ناحية الشعور والإحساس ولا من ناحية الأخلاق ولا من ناحية مطالب الحياة . . . ولكن الزمن لا يقف بل يتقدم ، ويتقدم معه الإنسان بينما يبقى الحيوان كما هو . . . يتقدم الإنسان فى أفكاره وأحاسيسه ومطالب حياته وسنن معيشته ، إذ يشعر أن أوراق الشجر لم تعد تسعف فى ستر جسده ، فينسج أول خيط من خيوط المدنية العالمية التى نتلفع بها اليوم ونزدان .

ويشعر أن كهوف الغابات والجبال لم تعد تصلح ، فيستأصل الأشجار ويقطع الأحجار ليقيم القرى ثم ليشيد المدن . . . وينتقل من مرحلة الصيد والقنص إلى مرحلة الزراعة ، ويضع على مهل أسس الاستقرار لحياة الإقتصاد الجماعى . ويحتاج إلى قواعد تضبط سلوكه ومعاملاته فيشرع القانون .

وعندما يبلغ من الرقى مرحلة جديدة يدرك أنه فى حاجة إلى أسرة فيبدأ فى تكوينها ويتدرج بها ويتطور . . . إنه يحس — أيضا — بحاجته إلى هيئة تحميه من الاعتداء على المـــال والعرض والحياة غير تلك

العشيرة أو القبيلة التى هو فرد فيها ، فتتكون الحكومات ثم تتكون الدول .

وفى مرحلة أرقى من مراحل نموه وإرتقائه يشعر بحاجته إلى العلم فيتعلم ... ويحس بحاجته إلى الفن فيخترعه .

إن الدين نفسه كان ثمرة احساسه ونجواه مع نفسه ، فقد كان هو يرعى الغنم يطيل النظر إلى السماء فيرى نجوما قد ظهرت نهارا واختفت ليلا ، ويرى القمر وقد تقوس هلالا ثم استدار بدرا ثم ارتد كالعرجون القديم . فيطغى على نفسه ووجدانه الشعور بالرهبة والخوف بعد أن يعجز عن تفسير هذه الظواهر . فيعتقد أنها آلهة ويعبدها . ولا ينقذه من ورطته إلا الاله الحقيقى إذ يرسل إليه رسله تبلغه وتنبهه : أن اعلم انى أنا الرب إلهك وأن هذه الأشياء الذى أنت لها عابد من صنعى ومن خلقى ، فأعبدنى أنا ولا تشرك بى أحدا ، ومن ثم تنشأ الأديان السماوية ويتحول الإنسان من عبادة الأوثان إلى عبادة الرب .

وهكذا مضى الإنسان تدفعه إرادة التسامى والارتقاء — مبددا مجاهل الحياة ، مستكملا بقايا حياته ومقومات وجوده حتى وصل إلى القرن العشرين بمدنية جامعة مستوعبة تتمثل فى كل ما نسميه اليوم علما وثقافة وقانونا وفنا وأدبا وأسرة ودولة وصناعة ... الخ .

وهل هذا إلا شىء طبيعى عندما تكون حاجاتنا المتنوعه المتداخلة منبعا قويا لعناصر الوجود ومقومات الارتقاء ؟

فالمدنية — إذن — هى وليدة الاحساس البشرى ، وهى تراث العقل وتكوين التاريخ ... أجل انها كذلك لأن الموكب الطويل الذى دفعته يد الانسان الأول على الأرض فسار ، والذى يمخر مركبه اليوم بحر طام من عرق الانسانية ودمائها ، هو الذى صنع المدنية وأبلى فى سبيلها بلاء كله شجاعة وجبروت ، وهو الذى يلقى إلينا الآن نتاج العقول البشرية ثم يواصل رحلته إلى الأزمان القادمة . ولكنه فى سيره يتطور ويتطور وسيظل هكذا لاينقطع ولا يقف إلى أن يأذن الله بزوال حياة الانسان من الأرض .

وقد يقول إنسان ، أن المدنية التى تصاحبنا اليوم هى نتاج القرن العشرين ولا صلة لها بمدنيات الأولين التى أبيدت وفنيت واصبحت فى التاريخ ذكرى !

كلا . إن المدنية العالمية التى نظن أنها وليدة القرن العشرين ، هى فى الواقع موصولة بالمدنيات القديمة ، التى لايمكن أن تفنى وهى التى ملأت الاسماع بالدوى الهائل الذى لم يسمعه إنسان الأمس فقط ، بل يسمعه أيضا إنسان اليوم ، وسيسمعه غدا إنسان الغد .

أجل ... إن هذه المدنيات التى نحسبها اليوم فى تراب الأرض موتى ، نعايشها الآن ولكنها انسابت إلينا عبر العصور بعد أن تطورت تبعا لتطور الحياة من حال إلى حال ، وتبعا لتطور العقل البشرى وارتقائه ، هذا الذى أضاف إليها من علمه وثقافته وتجاربه كل نتاج جديد .

ولما كان القانون ظاهرة من ظواهر المدنية وعصب من أعصابها فقد نسأل : —

أين قوانين المدنيات القديمة ؟
أين القانون الفرعونى ؟
أين القانون الاغريقى ؟
أين القانون الرومانى ؟

إننا قد نسأل انفسنا هذه الأسئلة بغير أن ندرى ونشعر أننا نحكم فى القرن العشرين — بهذه القوانين . وإنما بعد أن تطور بها العقل وأضاف إليها جديدا لتناسب العصر وتساير حاجات الانسانية ومصالحها التى استجدت فى العصور الحديثة .

بل اننا نحكم أيضا ببعض القواعد القانونية التى وضعتها الجماعات البدائية القديمة بغير أن تدرى .

خذ مثلا مبدأ التعويض الموجود فى معظم قوانين العالم المتمدن ومن بينهما — القانون المصرى . هذا المبدأ وضعت أسسه الجماعات البدائية القديمة .

يقول « ول ديورانت » فى كتابه قصة الحضارة عن المرحلة الأولى فى تطور القانون : « وفى مجتمعات بدائية كثيرة ، نجد أنه إذا حدث أن قتل (ا) شخصا آخر هو (ب) كانت النتيجة أن يقتل (ا) على يد

لابن (ب) ، ولنرمز له بحرف (ح) ثم يقتل هـذا الابن على يد إبن المقتول قصاصا ورمزنا له بالحرف (ا) . وهكذا يتسلسل القصاص حتى تنتهى آخر أحرف الهجاء .

ولكن هذه الجماعات وجدت أن الاستمرار فى القصاص أو الثأر سيفنيها . . إذن ماذا تفعل ؟ تركت القصاص إلى عقوبة أخرى هى التعويض وحددت أثمان معينة للعين وللسن وللأذن . . الخ .

وانساب هذا المبدأ عبر العصور فتلقفته الشرائع والقوانين المختلفة ومنها القانون الرومانى والشريعة الإسـلامية ووصل إلينا واستقر فى قوانيننا بعد أن تطور وتهذب .

فإذا فرضنا أن (ا) قتل (ب) كان لابن (ب) أن يدعى مدنياً أمام المحكمة أثناء نظر الدعوى الجنائية ويطالب بالتعويض .

ومن الحضارة الرومانية وفد إلينا القانون الرومانى ، فتلقيناه وجعلناه مصدراً لقوانيننا فى القرن العشرين . . أجل تلقينا هذا القانون العالمى الذى يمثل وحدة الانسانية المتمدنة ، فما من مسألة من مسائل الفقه إلا وعرض لها وما من جانب من جوانب العلم السياسى لم يلق عليه نوره .

وفى ذلك قال استاذنا الدكتور على بدوى — عميد كلية الحقوق سابقاً — أننا نعيش الآن فى عصر نستطيع أن نسميه عصر تقديس القانون الرومانى(١) .

---

(١) أنظر تاريخ القانون — للدكتور على بدوى .

وقال الأستاذ شيرمان الأمريكى بجامعة يال : —

« بأن الفضل فى عودة المدنية إلى أوربا بعد طوفان العصور المظلمة يرجع إلى القانون الرومانى ذى الجلال والخير » .

وقال الأستاذ ديكاريل بجامعة تولوز :

« بأن روما تركت للعالم مجموعة من القوانين والفقه عاش عليهما جزء من الإنسانية . بل خلقت طائفة من التعاليم والمبادىء الصالحة لجميع العصور ولكثير من النواحى الاجتماعيه »

ونحن أبناء القرن العشرين . كم نتحدث عن الديمقراطية والحرية ، ونثور مدافعين عنها إذا ما بدى لحاكم أو ملك أن يطغى ويتجاهل إرادة الشعب .

ترى أهذه الديمقراطية التى تسود شعوب العالم المتمدن الآن وليدة المدنية العالمية الحديثة ؟ أو هى نتاج الثورة الفرنسية ومبادئها ؟ أو هى قد أخذت من كتب فولتير وروسو ومنتسكيو وغيرهم ؟

إننا نظلم التاريخ ، ونتجنى على الحقيقة إذا ظننا هذا ! . أجل لأن هذه الديمقراطية وفدت إلى القرن العشرين من المدنية الاغريقية . . إنها — إذن من خلق اليونان .

إستمع إلى أرسطو يقول فى كتابه « السياسة » :

« إن الحرية شيمة الديمقراطية . وإن فكرة الشعب عن العدالة هى المساواة فى الحقوق للجميع من حيث العدد لا من حيث القيمة . وإذا كان هذا معنى العدالة ، فالجمهور هو بالضرورة السيد الحاكم إذ أن قرار الأغلبية هو القانون النافذ الآمر » (١) .

ثم استمع إلى المشرع العظيم « بركليس » وهو يخطب فى الجمعية العمومية فيقول .

« إن هذا الدستور الذى اخترناه لأنفسنا اسمه الديمقراطية ، لأنه لا يهتم بمصلحة الأقلية بل إلى مصلحة أكبر عدد ممكن . ولأن جميع المواطنين متساوين فى الحقوق والواجبات . وأما من حيث الوصول إلى المناصب فالمفاضلة بين الأفراد لا تقوم إلا تبعاً لما يتميزون به ، وأساس التمييز هو الموهبة ، لا الاعتماد إلى طبقة معينة » (٢) .

ولقد كان اليونانى يزهو دائما أنه ليس عبـــدا لمخلوق وأنه يطيع القانون لأن القانون انبثق من إرادة المواطنين جميعاً ؛ أى الشعب كله فلم يفرضه أو يمنحه ملك أو حاكم .

---

(١) ارسطو « السياسة » الكتاب السابع ، الباب الثانى .

(٢) توقيديس « تاريخ حرب البلوبونيز » . وانظر ـ الديمقراطيه لخالد محمد خالد . ومحاولات فلسفية ، للدكتور عثمان أمين ـ الاستاذ بكليه الآداب بجامعة القاهرة :

ولعل هذا المعنى واضح فى رواية « الفرس » « لأخيل » إذ أن أتوسا يسأل « أين أثينا ؟ أهى مدينة كبيرة بلغت من قوة الجيش والمال حداً جعل « أجزرسيس » يرى وجوب القضاء عليها ؟ ومن هم أولئك الأثينيون ؟ وأى قائد يقودهم إلى الحرب ؟ ومن هو ذلك الطاغية الذى يتولى حكمهم ويستبد برأيه ؟ » .

فيجيب الشيوخ « إنهم لا يرون أنفسهم عبيداً لأى إنسان ، وليس لأحد عليهم من سلطان » .

ولقد جاءت الأديان تزكى الحرية أو الديمقراطية الإغريقية وتباركها وتدعو الإنسان أن يتمسك بها ويجعلها مثله الأعلى فى الحياة .. فما كان لدين أن يقر انفراد حاكم بالسلطة وأن يتجاهل إرادة المواطنين ويعتدى على حقوقهم . وما كان لدين أن يقر — أيضا — قبول أى مواطن — أيا كان — لحكم ديكتاتورى لا يستند إلى إرادة الشعب .

لقد وقف يسوع المسيح يصرخ فى وجوه البغاة والمستضعفين معاً ويعلن فى قوة وإصرار أن لباب دينه تحرير الانسان من العبودية ونشر لواء الحرية والمساواة والسلام وقف يقول لهم :

« إن الرب مسحنى لأبشر المساكين ، أرسلنى لأنهض بمنكسرى القلب .. لأنادى للمسبيين بالعتق ، وللمأسورين بالانطلاق . » .

وقف يصيح فى وجه المساكين والمستضعفين :

« الحق أقول لكم : إن كان أحد لا يولد من فوق لا يقدر أن

يرى ملكوت الله » ماذا كان يعنى بالولادة من فوق ؟ .

كان يعنى أن يشعر الانسان بأنه إنسان لا حيوان يسخر . . كان يعنى أن يحس الانسان بأنه سيد لامسود لغيره . . كان يعنى أن تكون فى الانسان عزة وسمو واعتداد وكرامة ، لا يضعها تحت أقدام حاكم أو مستبد أيا كان هذا الحاكم ، وأيا كان هذا المستبد .

ثم جاء محمد الرسول عليه السلام وأكد هذا المعنى فى قوله « الناس سواسية كأسنان المشط » .

إذن فأساس الديمقراطية لم يوضع فى القرن العشرين أو فى الثورة الفرنسية ، إنما وضع فى مدنيات الأولين وأولها المدنية الاغريقية . وإن كان للثورة الفرنسية فضل فى هذا الصدد — فهو بعث الديمقراطية من مرقدها بعد أن قتلها طغاة مستبدون . . وهكذا تربط المدنية حاضرها بماضيها ويعترف العقل الحديث بفضل العقل القديم حتى على القرن العشرين .

والمدنية تفقد فائدتها وروعتها إذا لم تسمح للتطور بأن يقودها ، لأنها يوم أن تتخلى عن التطور تنقلب إلى همجية لا مدنية . والتطور دائما يسير إلى الأمام ولا يمكن أن يرجع إلى الوراء شبراً واحداً

لقد كنا قديماً نركب الدواب والعربات الحنطور فى سفرنا

فهل يمكن أن نتخلى عن سياراتنا وطائراتنا لنعود إلى السفر بالعربات والدواب ؟! وقد كنا نحبس نساءنا وفتياتنا فى الحريم ، ونقيم عليهن الأغوات حراسا ورقباء .

فهل يمكن أن نطردهن من الجامعات والمدارس ونخرجهن من وظائف الدولة والشركات والأعمال الحرة .. الخ ، لنرجعهن إلى الحريم كما كن ؟ !

وقد كنا نشتغل بتجارة الرقيق ونتخذ لنا عبيداً نشتريهم من الأسواق أو نأسرهم فى الحروب والمعارك ؟

فهل يمكن أن نعيد هذه التجارة من جديد ونأتى بالعبيد والأغوات إلى بيوتنا كما كان يفعل أجدادنا ! ؟

إن هذه الأمثلة البسيطة تبين بوضوح استحالة رجوع التطور إلى الوراء . سواء كان هذا التطور اجتماعياً أو سياسياً أو إقتصادياً . . الخ .

ولما كان الانسان منذ أن اكتشف نفسه يعمل دائبا على إشباع حاجاته وتحقيق مصالحه من جميع الوجوه المعنوية والمادية ، ولما كانت احتياجاته وضروراته دائما تتجدد وتتطور ، وما زالت ، كان لزاما على المدينـــة أن تتطور هى الأخرى لا بدافع من ذاتها ، بل بدافع من احتياجات البشرية ومصالحها(١) .

لقد إحتاج الانسان أن يشبع رغبة معنوية فيه ، هى التسرية عن نفسه وتسليتها . فاخترع الفن وتنوع به ثم شعر بالرغبة فى تحقيق ضرورة ، هى أن يتثقف . فطرق مختلف الوسائل لذلك بما فيها الفن الذى حوله إلى أداة تربية وثقافة وتعليم بجانب كونه أداة تسلية ولهو . وما الفن

---

(١) أنظر الديمقراطية أبدا — خالد محمد خالد .

اليوم إلا كما كان فى الماضى ، مظهر من مظاهر المدنية وعصب من أعصابها فنحن عندما نرى مثلا الفن الفرعونى الذى يتمثل فى الاثار العظيمة الرائعة نستدل منه على ما وصلت إليه مدنيتنا الفرعونية من روعة وبهاء .

وقد كانت المدنية فى الماضى تحتاج إلى الرجل وحده وتضع المرأة تحت سيطرته وإرادته . وكانت تقيم أسوار العزلة بين الجنسين وتحرم على المرأة ممارسة حقوقها السياسية والإجتماعية ... ولكن هذه المدنية ذاتها عندما دخلت مرحلة جديدة من مراحل نموها وتهذيبها وتطورها ، وهى مرحلة الثورة الصناعية ، اندفعت كالسيل تحطم الأسوار التى تفصل بين الجنسين ، وتفك القيود والاغـــلال عن المرأة وتطلقها إلى المصانع والمعامل والمدارس والجامعات والدواوين الحكومية والشركات والمجالس النيابية والمجالس الدولية ، تزاحم الرجل بالمنكب والذراع : أكان تطور المدنية فى هذا الصدد - بدافع من ذاتها ، أم كان بدافع من مصالح البشرية وحاجاتها ؟

لم يكن تطورها إلا بدافع الحاجة من الاستفادة من مجهود النصف الآخر فى شتى الميادين بعد الانقلاب الصناعى والاقتصادى الضخم .

ولعل المثل الذى نضربه بآلة النسيج يوضح بجلاء أكثر كيف كانت المدنية والتطور ثمرة أكيدة لاحتياجات الانسانية ومصالحها(١) .

فكر الانسان تحت وطأة البرد فى الانتفاع بصوف الأغنام الذى

---

(١) انظر تطور آلة النسيج فى كتاب الديمقراطية ص ٩٠ و ٩١ لخالد محمد خالد .

كان يرعاها ، فكان يقصه بيديه ويمشطه وينظفه ثم يغزله بمغزل بدائى . ولما ازدادت حاجة الانسان إلى الصوف ، كان لابد من آله جديدة تخرج صوفا يشبع حاجاته ورغباته ، فكان النول .

ثم ازدادت حاجة الانسان أكثر وأكثر إلى الصوف ، فكان لابد من تحسين آلة النول لتنتج أكثر . فجاء (جون كاى) وأدخل على النول تحسينا يوفر دفعه باليد ، وبالتالى يوفر وقتاً طويلا وينتج كميات أكثر من الصوف .

ثم ظهرت مشكلة جديدة جاءت باختراع جديد . فبعد أن كان النساج الواحد يحتاج إلى غزال واحد ، صار كل نساج يحتاج إلى عشرة غزالين . فمن أين يأتون بعشرة من الغزالين ؟ . هذه المشكلة دفعت (جيمس هارجريف) إلى وضع عدد من الالات الغازلة جنبا إلى جنب على أطار واحد ، وبذلك تغزل كمية أكبر بجهد أقل وتحل مشكلة الغزالين العشرة .

وبمضى الزمن برزت مشكلة أخرى هى رداءة الخيوط . فجاء « كرمبتون » واخترع آلة جديدة تخرج خيطاً رفيعاً .

ولكن شعور الانسان بحاجته إلى الصوف زاد إلى حد أصبحت هذه الالات عاجزة عن انتاج مايحتاج إليه . وهنا برز قسيس يدعى « كارتريت » اخترع لقومه آلة جديدة كان ميلادها بشيراً بميلاد الانقلاب الصناعى فى العالم كله .

وظل التحسن الطارىء على النسيج يتتابع حتى عمرت به المصانع الشامخة .

فالمدنية ـ إذن ـ مادامت تنبع من احساس البشر ، والتطور مادام ثمرة أكيدة لحاجة الانسانية ومصالحها المادية والمعنوية . فهى حياتنا وهى سنة حياتنا . فاذا ما احببناهما ، فانما نحب الحياة وسنتها .

ومامن شعب من شعوب القرن العشرين ، يشعر بحبه للمدنية وعشقه للتطور ويرضى أن يظل ضائعا فى زحام الدول المتمدنة .

أما الشعب . . . الشعب الذى يرضى أن يعيش على هامش الحياة لا فى صلبها ، هو الشعب الذى يكون حربا على المدنية ، وعدوا للتطور . ذلك أنه لم يبلغ من الادراك والوعى مايشعره بفائدة المدنية وحتمية التطور .

وفى المجتمع المصرى تطغى على وجداننا المخاوف المقلقة والذعر الدائم من المدنية والتطور فى كل ناحية من نواحى حياتنا . وقد يكون ذلك أثراً من آثار الاستعمار ، الذى مكن للرجعية وثبت أقدامها فى بلادنا . وأورثنا العقد النفسية ومركب النقص .

فانه عندما يغير على أمة من الأمم ، يبدأ بنشر الأفكار الرجعية والاراء الجامدة فى أوساط الناس ، ويبحث عن خونة رجعيين يقربهم إليه ويشجعهم على ترويج الرجعية التى من شأنها أن تبقى على النظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية فى الشعب كالمومياء المحنطة لاتدب فيها حياة ولايجرى فيها دم جديد .

وهذا ماحدث فى مصر .

فعندما انكبت بالاستعمار الفاطمى أراد أئمته أن يصرفوا الشعب عن التفكير فى مصيره وحقوقه فجاءوه ببدعة ، هى تلك الموالد التى تقام كل عام للأولياء فى المدن والقرى حيث مشى مريديه وأنصاره يزعمون أنها من الدين .. وبذلك أخذها الشعب وجعلها تقليداً من تقاليده الدينية الرائعة حتى يومنا هذا بغير أن يخجل ويستحى !! ولقد كان دخول هذا التقليد بيد الاستعمار الفاطمى نكبة علينا ، إذ أنه مكن للجهل أن ينتشر ويثبت فى العقول وما زال .

وجاءنا استعمار الخليفة العثمانى بكمية هائلة من التقاليد الرجعية البشعة التى مازلنا نعانى آثارها حتى الان ... أما الاستعمار البريطانى فقد حافظ على هذه الرجعية وأضاف إليها جديداً بأن وضع جميع العقبات أمام تصنيع البلاد . وأذاع أننا أمة لاتصلح إلا للزراعة فقط وأيده أنصاره من الخونة والرجعيين فيما ادعاه ، وبذلك تركت البلاد للفقر يقطع فى أحشائها قطعاً .

واننا نتصور بلادنا لو أنها لم تنكب بالاستعمار - دولة متمدنة راقية ، تقف فى الصف الأول مع دول أوربا وأمريكا ... المصانع تنتشر فى المدن بل وفى القرى أيضاً . والأمية تكاد تنعدم . وريفنا غير هذا الريف الذى هو وصمة فى جبيننا . وجيشنا يحسب له حساب . ومركز المرأة عندنا غيره الآن ... إلى آخره ... إلى آخره

أجل ... كان من الممكن أن نكون كذلك لو أننا لم نقع فى أغلال الاستعمار ، ولو أننا اعترفنا بالتطور وسرنا كما سار المتمدنون فى الغرب

والآن وقد كدنا نتخلص من البقية الباقية من الاستعمار ، آن لنا أن نتخلص أيضا من مخلفات عصوره الطويلة المظلمة ... آن لنا أن نقضى على الرجعية بكافة انواعها وتشكيلاتها ... آن لنا أن نتحرر من عقلية القرون الوسطى وأن نعلم أننا لا يمكن أن نكون مع الغرب فى موكب الحضارة والتطور إذا ظلت حياتنا الاجتماعية والاقتصادية تتجاذبها التيارات الرجعية ويغلب عليها الجمود والتزمت والتعصب ضد كل جديد يأتى به التطور وتتطلبه الحضارة .

أليس من المخجل أن يكتب عنا مؤتمر السفراء الذى انعقد فى لندن تقريراً سيئاً نشرته صحف العالم ويقول فيه .

« إن شعوب الشرق الأوسط لاتزال تعيش عيشة بدائية . وأن قوى الرجعية تتجاذبها إلى الوراء جذباً عنيفاً ... وأنه ليس هناك سوى دولتين إثنتين تسيران فى سياق التطور والرقى هما تركيا واسرائيل » .

وإننا لنبصر فى المجتمع المصرى جماعة تحاول دائماً أن تشكك الناس فى قيمة المدنية لتثبت أقدام الرجعية والتزمت فى مجتمعنا . فتارة يزعمون أن المدنية الأوربية تفسدنا وأنها تتنافى مع التقاليد الشرقية !! وتارة يزعمون أننا كشرقيين خلقنا للروحانية ، وأن مدنية الغرب تتنافى وتتعارض مع روحانيتنا !! وتارة يقولون الدين ... الدين ... أنه ضد المدنية ... أنها حرام . وينطلقون يحرمون مايريدون وما يشتهون مما يجيئنا به التطور والمدنية من كل جديد .

وأمام هؤلاء تقف مجموعة كبيرة تذود عن المدنية وتدافع عن التطور

وتدعو المجتمع أن ينساب مع الطلائع الزاحفة نحو الارتقاء والتحرر .

وهكذا نرى فى المجتمع المصرى قوى تتصارع وتتضارب ، وما أحسب أن فى هذا خيراً لمجتمعنا . ونحن مع إيماننا المطلق بأن التقدمية ستسود وأن التطور سيكافح الرجعية بألوانها المختلفة واتجاهاتها المنشعبة وسينتصر آخر الأمر انتصاراً رائعاً ، إلا أننا نرى أنه من الخير أن تنتهى هذه المعركة بين التقدمية والرجعية ، وأن يؤمن الرجعيون بأنه لاجدوى اطلاقا من وقوفهم أمام قوة التطور الجبارة وإلا فان نهايتهم ستكون كنهاية أخوانهم الهنود الحمر فى أمريكا .

فقديما حملت المدنية متاعها ورحلت عبر المحيط الأطلنطى لتحيى عالماً آخر غارقا فى ظلام دامس ، ولتفتح آفاقا جديدة للانسانية . فوقف لها الهنود الحمر بالمرصاد ، لا لأنها جاءت تستعمر مجاهلهم بل لأنهم ظنوا أنها تحمل معها كل معانى الفحش والضلال . فكان يكرون عليها تارة ، ويفرون منها تارة أخرى .

ولكن ، أكانت المدنية من الضعف بحيث تتركهم يقفون أمامها ويعرقلون سعيها الحثيث لفتح الآفاق الجديدة ؟ كلا . بل أجهزت عليهم وطحنتهم بين عجلاتها ، ومن بقى منهم نفر قليل العدد انطوى على نفسه وقد ضرب سداً منيعاً من خز عبلاته وتقاليده وأوهامه بينه وبين المدنية العالمية التى توجد على بعد يسير منه ، ولكنه لايشعر بها كأنه تحت الردم من الأموات .

ويبدو لنا أن مصير هنودنا الحمر سيكون نفس المصير ، إلا إذا تحرروا وآمنوا بقوة التطور وحتميته لسعادة الانسانية كلها . .

المدنية لا تحتكر :

والان نريد أن نسأل :

هل حقا مايزعمه الرجعيون من أن المدنية دخيلة علينا ؟

هل هى تخص الغرب وحده ونحن لايحق لنا أن نتمتع بها ونصاحب الغرب فى موكبها المنطلق ؟ !

هل هى كما يصورها الرجعيون ، خصومها ، شيئاً مخيفاً يهدم أخلاقنا ويذهب بروحانيتنا ؟

إنه لمن الخطأ أن نعتبر المدنية مخلوقة للغرب وحده . . . أجل ومن الخطأ الذى لا يغتفر ان نخاف من المدنية ونرهب التطور ونشن عليه غاراتنا بحجة أنه من صنع « الخواجات » أو كما قال كاهن كبير — فى محاضرة له — أنه ليس من صنع المسلمين !!!

ذلك أن المدنية موكب واحد تنتظم فيه كل الدول المتمدنة وكذلك الدول التى تريد أن تتمدن وتقوى ويصبح لها ثقل فى الميزان الدولى .

إن المدنية عالمية ساهم فى بنائها — منذ وجد آدم وحواء — البشر جميعا فى مشارق الأرض ومغاربها . . . إنها كالهواء تماما لا تستطيع دولة منهما بلغت من القوة والتمدن أن تحتكرها لنفسها وتمنعها عن غيرها . . إذن هى حق لكل دولة ولكل فرد فى الشرق أو فى الغرب

فمن يحول بيننا وبين هذه المدنية العالمية ، هو فى الواقع يحول بيننا وبين حق مشروع وهبته لنا الطبيعة كما وهبه لنا نضال البشرية منذ بدء التاريخ حتى الآن لترقية الانسانية ورفع مستواها الأدبى والمادى معا .

ولما كانت المخترعات الحديثة ظاهرة من ظواهر المدينة العالمية ، لذلك نريد أن نسأل :—

هل يستطيع الغرب مثلا أن يمنع الشرق من الانتفاع بالراديو أو التليفزيون بحجة أن هذه المخترعات انمـــا اخترعت عنده وصممها أبناؤه ؟ لا يستطيع .. لأن هذه المخترعات الجبارة أصبحت عالمية ولأن مخترعيها لم يكن يصممونها لينتفع بها الغرب وحده بل لينتفع بها سائر البشر فى جميع انحاء العالم .

فإذا جاءت دولة شرقية وقالت أن هذه المخـــترعات من صنع (خواجات) لا أدخلها عندى ، فقد حكمت بذلك على نفسها بالاعدام الأدبى واسقطت نفسها بنفسها من مجموعة الدول المتمدنة ، كتلك الدولة التى رفضت إدخال التليفون فيها بحجة أنه إختراع شيطانى !

لقد بينا كيف تتطورت آلة النسيج تبعا لتطور حاجة الانسان ومطالبه ، وان هذه الآله اخترعت فى انجلترا : ولذلك نسأل :

هل كان اختراع الإنجليز لآلات النسيج صارفا لغير الانجليز ، وصارفا لنا نحن الشرقيين بالذات عن الانتفاع بها ؟ وهل كان « جون كارى » « وجيمس هارجريف » « وكرمبتون » « وكارتريت » يصممونها على

الا ينتفع بها أحد سوى الانجليز؟ أم كانوا يصممونها لتنتفع بها البشرية فى جميع أنحاء العالم؟ (١)

ثم فليجيبنا هؤلاء المتزمتون أعداء المدنية والارتقاء :

لماذا التجأ العرب إلى حضارة الأغريق يترجمون كتبها ويتدارسون ثقافتها ويقبلون عليها فى نهم شديد ؟ هل كان اختلاف الجنس واختلاف الدين حائلا بين العرب وبين هذه الحضارة التى تأسست عليها الحضارة الإسلامية ولولاها ما كانت هناك حضارة اسلامية أبدا ؟

إذن المدنية عالمية ، وهى ليست حقا لأوربا وحدها بل نحن أيضا لنا الحق فيها — ولكن لأن الغرب عرف جيدا كيف ينتفع بالمدنية ويسير مع التطور ، نسبناها إليه وانقض على وجداننا الخوف والرهبة منها فكرهناها !!

وما هى بالشىء المخيف بل أنها أكبر حليف لنا يساعدنا على الارتقاء والتحرر بأن تحرر نظم مجتمعنا من نظم رجعية جامدة فقدت صلاحيتها للبقاء إلى نظم أخرى تقدمية من جميع نواحى الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية .

هذه المدنية العالمية تتفرع إلى فرعين كل فرع لا يغنى عن الآخر فى دولة تريد أن تتطور وترتقى . أما الفرع الأول فمادى وقد ضربنا

---

(١) انظر الديمقراطية — لخالد محمد خالد

له أمثلة من المخترعات الحديثة كالراديو والسينما والتليفزيون والصناعة . . . الخ . وأما الفرع الثانى فأدبى ويتمثل فى الفن والعلم والأسره والدولة والقانون وأساليب الحياة الاجتماعية التى يسير عليها المتمدنون .

ذلك أن البشرية فى تقدمها لم تكن تبغى التقدم المادى فحسب ، بل والأدبى أيضا .

وفى رأيى - أن التقدم الأدبى يجب أن يسبق التقدم المادى ، إذ أن الانسان عاجز عن الانتاج والابتكار قبل أن ينهض عقليا ومعنويا ويبعد عن جو الرجعية وتقاليدها وأفكارها الجامدة .

لقد عرف كهنة العصور الوسطى هذه الحقيقة .. عرفوا أنه كلما كان عقل الانسان مستترا وراء حجاب كثيف من الأفكار المتزمتة والخزعبلات والأراجيف ، كلما ظلت البشرية فى تدهورها وتأخرها ولكن يوم يسفر العقل ويتحرر ، يوم تنهض البشرية وتتقدم من جميع الوجوه ، ويكون تقدمها هذا قتلا للرجعية والكهانة . ولذلك وضع سدنتها يدهم على العقل من قديم الزمان وفرضوا عليه حصارا قويا متينا ، والصراع الذى نشب بين العقل وبين الكهانة معروف ، ومعروف أيضا أنه أنتهى بانتصار العقل وتقدمه ، ومن ثم بدأت البشرية فى تقدمها الأدبى والمادى معا .

وإذا كانت البشرية قد تقدمت تقدما عظيما - من الناحيتين المادية

والأدبية — فى الغرب ، بينما تخلفت فى الشرق ، فالذنب — فى ذلك ليس ذنب أحد الا هؤلاء الذين اختلقوا للشرق خرافة يشغلونه بها عن زمالة الغرب فى الموكب الواحد ، تلك الخرافة هى أن الشرق خلق للروحانية وأن مدنية الغرب تفسده وتذهب بروحانيته !

وأكاد أجزم أن هذه الخرافة هى السبب الأول فيما وصلنا إليه من بلاء ... قتلت فينا روح الكفاح وبعثت فينا الكسل والتواكل ... وصرفتنا عن العمل والإنتاج . وكرهتنا فى دنيانا وحياتنا !

وأكاد أجزم — أيضا — أن هذه الخرافة هى التى مهدت لاستعمار الشرق .... من من ؟ من دول الصناعة والإنتـــاج ... من دول الخبز والمادة ... من دول الحضارة والتمدن ... أو — لكى نرضى المغفلين الروحانيين — نقول من الدول المادية التى لا تعرف شيئا من الروحانية ونحن لا يهمنا ، نهض الشرق أم لم ينهض ، وقف على قدميه أم انكفأ على وجهه ، ولكن يهمنا مصر — وطننا — قبل كل شىء ... أجل يهمنا مصر وحدها أن تنهض وتثبت على قدميها وتسير مع التطور .

ولخطورة هذه الخرافة — خرافة الروحانية — على بلادنا يجب علينا أن نتعرض لها ، ونناقشها .

الروحانية ليس معناها الزهد والرهبنة :—

إننا نريد أولا أن نسأل حضرات الروحانيين : ماذا تريدون بالروحانية ؟

هل تريدون مثلا البخور ، وتلاوة الذكر واستحضار الأرواح ومخاطبة الجن ؟

ما أظن أحدا يذهب إلى هذا المعنى اللهم الا إذا كان مخبولا ؟

إذن هل تريدون الحياة فى صومعة من الزهد والانصراف عن الدنيا ومباهجها ؟ إن كنتم تريدون هذا فأنتم على ضلال مبين . إن زمننا ليس زمن الزهد والرهبنة ، وإنما هو زمن الحياه . زمن العمل والنشاط . زمن الاستمتاع بما فى الدنيا من مباهج وخيرات .

فاصحوا : إن المجد لا يتعرف إلا بالشعوب التى تعرف كيف تعيش والتى تعرف كيف تستمتع بدنياها وتسود فيها .

ولم يأت دين يجعل من الحياة سجنا تقضى البشرية أيامها فيه باسم الروحانية ! بل جاءت الأديان كلها تحث الإنسان أن يتمتع بما خلقه الله من طيبات الدنيا ومسرات الحياة .

إن المسيح يعلن أن المجد لله فى الأعالى . وعلى الأرض ... وللناس المسرة .

ماذا كان يعنى بقوله أن للناس المسرة ؟ كان يعنى أن يتمتع الناس بدنياهم وأن يكونو اعزاء فيها .

والقرآن الكريم أيضا يهدد ويتوعد هؤلاء الذين يذمون الدنيا ويدعون الناس للإنصراف عنها قائلا « قل من حرم زينة الله » . وهو من جهة أخرى يحث الإنسان على أن يسعد بدنياه ويتمتع بها إذ يقول « ولا تنسى نصيبك من الدنيا » .

وعند هؤلاء أحاديث لاحصر لها تحرض الناس على الدنيا وتدعوهم إلى الانصراف عنها ليحيا الإنسان حياة التعبد والرهبنة... هذه الأحاديث مصطنعة، دست لغرض خبيث، هو فرض سلطان الكهانة على عقول الناس وأحوالهم.

ولو فرضنا أن من هذه الأحاديث ماهو صحيح، فمعناه بجازى بحث أى أن الحديث لايعنى حض الناس على كراهية دنياهم والانصراف عما فيها من متع وملذات. وإنما هو يهدف إلى علاج وقتى يبث الأمل فى نفوس الضعفاء والمساكين، مع حثهم فى الوقت نفسه على النهوض والعمل على ترقيـــة مستواهم المادى والأدبى معا، حتى يتمكنوا من الحصول على نصيبهم المشروع من متع الحياة وخيراتها.

هذا الإنسان ذو الجلال، والذى تشع من روحه وفكره آلاف الشموس؛ هو فن الله على الأرض وفلسفته وكلمته وروحه. وهبه الحياة ومنحه السيادة على الدنيا لالينصرف عنها ليقف حياته على الرهبنة ولا ليضرب صفحا عن خيراتها بحجة الروحانية. بل وهبه ومنحه ليسير فى عزم وقوة فى طريق الانتصار على كل أسرار الأرض والسماء.. ليسير ثابت الخطى قويا جسوراً، إلى الأمام دائما، ونحو الأعالى أبداً.. فكل انصراف عن الدنيا بحجة كسب الآخرة ضلال!! وكل انصراف عن خيرات الحياة ومباهجها بدعوة الروحانية غباوة.

إن هذه الفلسفة الغيبية، فلسفة الروحانية الزائفة هى التى جرت على

الشرق مصائب ، أهمها شأنا وقوعه فريسة سهلة للدول الغربية التى أقبلت على الحياة وأخذت نصيبها الموفور منها وتعطلت قوة هائلة تكمن فيه بعد أن اسلمته هذه الروحانية الزائفة إلى التواكل والنوم ، كان فى إمكانه أن يستغلها استغلالا يرفعه من بؤسه لو أنه اعتنق مبدأ احترام الحياة وعمل له ودافع عنه .

وحرصنا على ألا ترجع بلادنا إلى الوراء ، وأن تمضى إلى الأمام نحو التمدن والحضارة يدعونا حثيثا إلى مهاجمة هذه الدعوة المسمومة دعوة الروحانية الزائفة !

المادية تمهد للروحانية الصحيحة : ـ

إن الروحانية التى نفهمها وندعو لها ، هى الأخلاق الفاضلة .. وفى مجتمعنا نظن أن الأخلاق الحسنة تتطلب البعد عن الزنا وأداء الصلاة والصوم فحسب وهذا خطأ لأن الأخلاق الفاضلة التى تهبنا روحانية صحيحة ، أوسع مدى بكثير . . . إنها صفاء النفس وراحة الضمير إنها حب الخير والجمال والتحلى بالشجاعة والكرم والأمانة . . والتعاون مع الغير للصالح العام ... إنها احترام القانون ، واحترام النظام والشعور بالمسئولية ، وقيام المواطن بواجباته العامة والخاصة .

هذه هى الاخلاق الفاضلة التى تجعل الانسان إنسانا ، وترفع الشعوب إلى التمدن والحضارة .

هل هذه الاخلاق الفاضله ترفرف على الشرق ؟! . . . الشرق الذى خلق للروحانية كما يزعمون !

إننى اقرر حقيقة ملموسة إذا قلت أن الشرق فى حرمان تام من هذه الاخلاق العملية الصحيحة ، بينما الغرب قد أخذ نصيبا وافرا منها .

وليس فى هذا مايثير الدهشة ، لان المادية التى تتمثل فى العدالة الاجتماعية ورفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب بزيادة الانتاج هى التى تقيم الاخلاق الفاضلة وتؤسس الروحانية الحقة ، لاروحانية المجاذيب

البعض لايريد أن يعترف بأن إرتفاع مستوى المعيشة وتحرير المواطنين من الجهل هو الاساس الصحيح لرفع مستوى الأخلاق فى المجتمع .

وهؤلاء فى حاجة إلى أن يعلموا أن محمد الرسول عليه السلام كان يتعوذ من الفقر ومن الدين ويقول أنه يحمل الرجل على أن يحدث فيكذب ، ويعد فيخلف » .

وهذا الكذب وهذا الاخلاف أول معول هدم فى صرح الأخلاق والفضائل .

وهؤلاء فى حاجة أيضا إلى أن نقول لهم انكم تستطيعون أن تؤلفوا وتبتكروا نظريات رائعه فى الأخلاق والروحانية وتملأوا بها المجلدات

والكتب وتنشرونها على الناس .

وتستطيعون أن تقفوا طويلا على منابر المساجد والكنائس وفى دور الجمعيات الدينية ، تذكرون الناس بأوامر الله وتنهون عن الفحشاء والمنكر والبغى . . وتستطيعون أن تخطبوا بأصواتكم العالية فى الميكروفونات البائسة التعسة تنصحون الناس بالتحلى بمكارم الأخلاق وفضائل النفس ، أثناء الليل وأطراف النهار .

ولكن كل هذا . سيذهب هباء . . . سيذهب كما تذهب الرياح .

إن أخلاق الانسان الحسنة لا تكتسب بموعظة حسنة ، يلقيها واعظ الأزهر فى المدن والقرى وحول حلقات الذكر . ولا هى ممن تأتى بخطبة من خطب الجمع يلقيها خطيب المسجد ويذكرنا فيها بالنار والجنة كأنه منها آت . ذلك أن أخلاق الانسان خيراً أو شراً وليدة حالته النفسية والاجتماعية والاقتصادية والصحية . وهذه الحالات كلها وليدة الوسط الاجتماعى الذى يعيش فيه الانسان أى هى نتاج بيئة تربى فيها وترسبت فيه عوائدها وأفكارها وتقاليدها .

فإن كانت البيئة فاسدة كان أفرادها فاسدين بالتبعية ، وإن شذ البعض وصلحوا فهذا إستثناء لا يعول عليه فى قياس قاعدة عامة .

وما الذى يفسد بيئة الإنسان ؟ !

يفسدها الفقر والجهل قبل أن يفسدها أى شىء آخر ، فإذا أردنا إصلاح البيئة أو الوسط الإجتماعى للشخص ، علينا أولا أن نهدم الفقر ونطرد الجهل . لا أن نعظ ونذكر بالأخلاق والروحانية وما إلى ذلك ظنا منا أن هذا هو الصلاح :

وما زلت أذكر حادثة رواها مستشار فاضل تبين إلى أى حد أفسد الفقر والجهل بيئة الإنسان وأعدم أخلاقه وحط من قيمه المعنوية . وهذه الحادثة تتلخص فى أن : « رجلين من أبناء الصعيد جلسا ذات يوم يلعبان (بالكوتشينه) فغلب أحدهما الاخر . فقال المغلوب للغالب : أنت غلبتنى بالتزوير . فأحتد الغالب ورد قائلا « لا تصنع من نفسك رجلا على . إذهب واعمل رجلا فى بيتكم » .

فسار الرجل المغلوب وقد انتابه الشك والظن وأخذ يسأل نفسه :

لماذا يقول لى هذا الكلام ؟ أعمل رجل فى بيتنا ؟ لماذا ؟ لا بد وأن أحداً من النساء فى بيتى ليس على صراط مستقيم . ولكن لا يوجد غير والدتى وأختى . أما والدتى فهى امرأة بلغت من العمر أرذله . إذن هى أختى ، إنها فتاة كاملة الأنوثة . لا بد أن الرجل الذى قال لى هذه

العبارة يعرف الكثير عن سلوكها الشائن . . . وبغير تفكير ولا تروٍ اتجه إلى منزله واستل سكينا حاداً وانقض على أخته وهى نائمة وذبحها ! ووقف أمام المحكمة الجنايات معترفا بالاتهام وأخذ يبرر جريمته بالشرف والعرض . وجاء تقرير الطبيب الشرعى يثبت أن القتيلة كانت عذراء لم تمس بسوء . وجاء رجال الحى ونساؤه يشهدون بأن القتيلة كانت حسنة السير والسلوك . وجاء الرجل الذى كان يلعب معه والذى قال له العبارة المذكورة يعترف بأنه لم يلحظ أى اعوجاج فى سلوك القتيلة وأنه إنما قال له هذه العبارة على سبيل المزاح لا أكثر ولا أقل . .

وكان نصيب المجرم من العقاب الأشغال الشاقة المؤبدة .

إذا أردنا أن نعرف الدوافع الحقيقية التى دفعت بهـــذا المجرم إلى ارتكاب هذه الجريمة البشعة وجدنا ما يأتى ـ كما قال المستشار الذى أصدر عليه الحكم .

١ ـــ حالته الاقتصادية : فهو شخص فقير عاطل يكتسب قوت يومه بالبلطجة بعد أن طرق طرقا كثيرة من أبواب العمل فسدت كلها فى وجهه مما اتضح فى محاكمته أمام محكمة الجنايات .

٢ ـــ حالتـه الثقافية : فهو شخص جاهل لم يجد فرصة يربى فيها نفسه ويثقفها .

ـــ حالته الإجتماعية : فهو قد فقد عطف أبوه منذ كان طفلا

إذ تزوج غير أمه وأهمل تربيته كما أن التقاليد التى درج عليها صورت له أن الشرف والفضيلة فى حبس المرأة وفرض الحراسة والرقابة عليها .

هذه الحالات المختلفة هى نتاج بيئته التى عاش فيها منذ الصغر .

فبالله عليكم ، إذا أردنا أن نصلح أمثال هـذا الشخص فهل يكون السبيل لذلك هو المواعظ والخطب فى الميكروفونات وتذكيره بالنار والجنة . . إلى آخره . أم يكون بانقـلاب شامل فى الوسط الذى يعيش فيه . وهذا الانقـلاب لايكون إلا بتحريره من الفقر والجهل ؟!

لقد لفت نظرى عبارة فى كتاب « لاتخف » للدكتور ادورد سبنسر كولز ، وقفت عندها أتأمل معناها الجامغ . هى :

« إن كل تغيير فى الخلية العصبية مهما تقل درجته يتبعه لامحالة تغيير فى نفسية صاحبها ، وفى مجتمعنا لم يغير الفقر أو الجهل خلايا الانسان العصبية بل أعدمها ، فأعدم نفسيته وبث فيها الحيرة والخوف واليأس والحقد والكراهية والغضب . بث فيها كل مايهدم الأخلاق الروحانيـة

لقد جاءنى أحد الأصدقاء ذات يوم من أيام الجمع — غاضباً ثائراً وقال لى .

تصور أن تحدث سرقة فى المسجد الذى كنا نصلى فيه .

قلت له . كيف ؟

قال — كدنا ننتهى من الصلاة حتى سمعنا عراكا خارج المسجد فخرجنا نستطيع الأمر ، فوجدنا رجلا من بين المصلين قد سرق حذاء فنظرت إليه فوجدته رث الثياب حافى القدمين .

إن هذا الشخص جلس قطعاً بين المصلين واستمع إلى خطبة الجمعة التى لابد أن يكون الخطيب قد ملأها بالمواعظ الروحانية كما هى العادة فى كل خطبة جمعة ولكنه لم يهتم بما سمعه .

ومرة أخرى أقول إذا أردنا أن نصلح هذا الشخص فهل تكون الوسيلة هى خطبة فى الميكروفون أو على منبر المسجد . أم تكون الوسيلة هى رفع مستواه الاجتماعى والمعيشى ؟!

نترك الجواب على هذا السؤال إلى أسيادنا الروحانيين أعداء المادية الملحده الكافرة !!

إذن لقد كان شوقى مخطئا كل الخطأ عندما قال .

« إنما الأمم الاخلاق ما بقيت . . . فإن ذهبت أخلاقهم ذهبوا »

كلا . . هذه نظرية خاطئة قلبتها الحياة الحديثة رأساً على عقب .

أجل ليست الأمم باقية بالأخلاق !! وإنما هى باقية بالصناعة والانتاج! باقية بالقرش والخبز !! باقية بالثراء . . فإن وجد فيها كل هذا ودعها الفقر ورحل إلى غير رجعة ومن الباب الذى يرحل منه تدخل الأخلاق . الأخلاق والروحانية العملية الصحيحة لا الأخلاق والروحانية النظرية المزيفة التى تصلح لأن تكون موضوعاً جميلا من مواضيع الانشاء التى يكتبها طلبة المدارس الثانوية !

وإن أبو ذر الغفارى العالم الروحانى العظيم وصاحب رسول الله عليه الصلاة السلام ليهدم رأى شوقى هذا فى عبارته الخالدة التى تحمل شتى المعانى وهى : —

« إذا ذهب الفقر إلى بلد ، قال له الكفر خذنى معك » .

وإن توماس بين — أيضاً — الفيلسوف العظيم لينبهنا إلى خطورة الفقر على كيان الدولة فى قوله :

« إن الفقر ليتحدى كل فضيلة ويكتسح أمامه كل أخلاق ، ولا يبقى غير هذا : كن أو لا تكن » .

ترى، هل سيؤمن الروحانيون والمتباكون على الأخلاق بأن المجتمع الفقير لا يمكن أن يعرف ولو سراب الروحانية والأخلاق ؟!

وقد يسأل القارىء ؟ —

من هؤلاء الذين يدعون إلى الروحانية ويزعمون أنها علاج الشرق ؟

فأجيب بأنهم ليسوا من الفقراء . فالفقير لا يفكر فى شىء إلا فى أن يأكل ويلبس ويجد المسكن اللائق به كإنسان ، . . هو يفكر فى هذا ويتمنى اليوم الذى يرى فيه نفسه يحيا حياة إنسانية محترمة .

ولكن هؤلاء الذين يدعون إلى الروحانية ويحاربون المدنية التى تعترف أول ما تعترف بالمعدة الممتلئة هم : —

(١) فئة من الكتاب والصحفيين وضعوا أنفسهم فى خدمة الرأسمالية .

(٢) فئة من الكهنة تتكلم باسم الدين وتحتكر المعرفة به وهؤلاء وضعوا أنفسهم كما وضعوا الدين فى خدمة الاقطاع . وإذا أراد القارىء أن يتذكرهم فليتذكر أولا الفتاوى التى كانوا يخرجونها لفاروق!

(٣) فريق من الرجعيين الذين يشعرون بمركب نقص وعقد نفسية أمام كل شىء جاءتنا به المدنية والتطور . فالروحانية سلاحهم القوى — كما يتوهمون — لوقف هذا التيار الجارف الذى يجرفنا نحو التطور والارتقاء فى شتى نواحى الحياة .

وهؤلاء جميعا تقوم روحانيتهم الباهظة التعسة على ذم الدنيا والتحبب فى الزهد والرهبنة والدخول فى نضال مرير شاق مع طبيعة النفس البشرية باسم التقوى . وتقوم أيضا على تمجيد الفقر والتحبب إليه ، ولكنهم لا ينشرون دعوتهم هذه بغير أن يلبسونها أثوابا براقة من الألفاظ المعسولة التى تخدع الجماهير الساذجة المسكينة . تراهم مثلا فى تحبيذهم للفقر

يقولون لك كن قنوعا . القناعة كنز لايفنى !!

وكقولهم أيضا بالعامى (ده الفقير أسعد من الغنى . ده باله مرتاح) ولعلهم يقصدون بذلك السعادة الروحانية .

ولما كانت المدنية لاتعترف بهذا النوع الفكاهى من الروحانية بل تعترف بالروحانية الحقة التى تقوم على القيم المعنوية التى ذكرناها وما تنبع هذه القيم الا من البطون الممتلئة ، فقد حاربوها — أى المدنية ونعتوها بالمادية التى لاتليق بجلال الشرق وسموه .

ولست هنا أتجنى . فامامى الآن جريدة يومية كبيرة وفيها مقال لكاهن مازال يشغل منصبا دينيا كبيرا بعنوان « الفقر المحبوب !!! » . الفقر الذى كان رسول الله يصبحه باللعنة ويمسيه . . والذى يقول فيه على بن أبى طالب ماضرب الله عباده بسوط أوجع من الفقر ، يدعوه الكاهن « بالفقر المحبوب » .

ولست أدرى إن كان هذا الكاهن قد شعر حقيقة بحب الفقر أم لا ذلك أنه يملك أموالا طائله تدر عليه إيرادات سنوية ضخمة . . فمن أين جاءه الشعور بحب الفقر ؟ أم أن الفسطه والروحانية هى التى أشعرته بهذا الحب الملتهب ! وهذا الغرام العنيف ؟ !!

وإسمعوا قول كاتب فليسوف فى الروحانية .

« إن الروحانية أسعدت الشرق رغم فقره وقعوده والمادية أشقت الغرب رغم ثرائه ورقيه »

الله أكبر . . أسعدته بماذا ؟ بالاستعمار قروناً متتالية ؟ بالذل والتأخر والهمجية ؟ بالجهل والخرافات والخزعبلات التى استشرت بين ابنائه ؟ أسعدته بماذا ؟ هذا مالم يفصح عنه هذا الكاتب العبقرى ! !

وكاتب آخر تستبد به الروحانية وتحلق بروحه إلى السماء فيطلق حكمه ما أبدعها وما أروعها إذ يقول :

« إن الروحانية تدعو أبنائها أن ينظروا دائما إلى السماء أما المادية فتعلم أصحابها النظر إلى الأرض »

ولكن ليته حفظ الحكمة التى تقول « إن الذين يقفون على الأرض ينظرون إلى السماء . أما الذين فى السماء فينظرون إلى الأرض »

إذن فالشرقيون الروحانيون ينظرون إلى السماء لأنهم على الأرض أما الغربيون الماديون فينظرون إلى الأرض لأنهم فى السماء .

وبعـــد :

لقد آن للمجتمع أن ينبذ هذه الخرافة بعيدا . وهى إن جازت أن تغرر به فى عهود الظلام فلا ينبغى أن تظل تنفث سمومها فى عهدنا الجديد العهد الذى يعمل رجاله على افساح مكانا لمصر فى موكب الحضارة والتطور بجانب الغرب . وطبيعى أننا لا يمكن أن نبلغ هذا الهدف إلا إذا حشدنا كل قوانا وامكانياتنا لقتل الفقر ورفع مستوى المعيشة لطبقات الشعب .

التطور والمرأة

« نابليون : مدام إنى لاأحب أن تتحك المرأة فى السياسة . مدام كوندرسيه إن لك الحق أيها الجنرال . ولكن من الطبيعى فى بلد تجتزف فيه رءوس نسائه أن يكون لهن الحق فى أن يسألن عن السبب فى ذلك

« ليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس . وليس للرجل عقل وللمرأة نصف عقل ، وانما يأتى الفارق من تقييدها فى البيت »

جمال الدين الافغانى

هل المرأة انسان ؟

أذكر عندما كنا طلبه فى المدرسة العباسية الثانوية بالاسكندرية أن أستاذ الجغرافيا ظل يعيد ويكرر فى شرح موضوع هام ، حتى ضقنا ذرعا وقلنا له :

متى نترك الموضوع إلى آخر ؟

فاجاب :

عندما تخلقون عقولكم وتركبون عقولا تفهم .

تذكرت هذه اللفتة من أستاذنا الفاضل عندما أردت أن أكتب عن حقوق المرأة . إذ تصورت أناسا كثيرون يسألون :

متى تتركون هذا الحديث المكرر المعاد عن المرأة وحقوقها .

وجوابنا عليهم هو :

عندما تخلعون عقولكم وتركبون عقولا تفهم أن المرأة إنسان ، لها ما للانسان من حقوق .

سنظل إذن نتكلم عن حقوق المرأة وندافع عنها بكل ما أوتينا من قوة ، ولن نمل ولن نيأس حتى تصل إلى المساواة التامه المطلقة بينها وبين الرجل بغير قيد أو شرط .

واسمعوا :

ليس عندنا أصدق من التاريخ إذا حدثنا وروى مافيه من وقائع

وأسرار . وهو إذ يحدثنا عن المرأة ، انما يلفت نظرنا إلى أنها إنسانة شاركت الرجل منذ أقدم العصور فى العمل وأخذت بضلع فى كل مايتعلق بالحياة القبلية وحياة الأسرة ، وكانت للرجل سلاحا ودرعاً ، وكفاها أن تكون أول من أنشأ فلاحة الأرض وأول من أكتشف كيف تنبت الحبة فتثمر فى أزمان دورية ، فكان هذا بداية الحضارة الزراعية فى العالم أجمع ،

قال ويلز يصف حال الجماعات الأولى .

« على أن أكثر العمل المضنى الذى كانت تحتاج اليه الجماعات كان من نصيب النساء .

فان الرجل البدائى لم يكن يفهم للشهامة ولا للنخوة معنى » .

ثم قال

كانت هذه الحال سببا فى أن يذهب البعض إلى القول بأن النساء كن أول من بدأ فلاحة الأرض . وهذا المذهب لاتنقصه المرجحات فان جمع الحبوب ومواد الأكل الخضرية كانت من أعمال النساء فهن اللاتى لاحظن أن الحبوب تنمو فى الأمكنة التى كانت من قبل مخيما لجماعات أخر يكونون قد بذروا الحبوب على وجه الأرض قربانا لاله من الالهة عسى أن يعوض عليهم مابذروا اضعافا تعد بالمئات »

ولقد تابعت المرأة خطى التطور الذى لازم الرجل فى جهاده الشاق

نحو الكمال والمدنية فاذا كان الرجل قد ضحى بالكثير من جهده العقلى والعضلى فى بناء أسس الحضاره فكذلك المرأة قد ضحت بالكثير من جهدها العقلى والعضلى فى بناء هذه الأسس بل وضحت أيضا بجهدها النفسى وأسرفت فى الانفاق عليها من روحها وعواطفها وانفعالاتها .

وإذا كان التاريخ كما يقول « هاينى » ليس سوى الأطمار الخلقة التى خلفتها روح الانسان على مر العصور . فان فى ثنايا تلك الأطمار من روح المرأة قدرا يساوى مافيها من روح الرجل .

حررت الأوطان بدماء الرجال وكذلك حررت بدماء النساء وشهد التاريخ للرجل ببطولته وشجاعته وكذلك شهد للمرأة ببطولتها وشجاعتها

والتاريخ عندما يروى لنا كيف إشتركت نسيبه بنت كعب بن عمرو فى حروب الرده وباشرت القتال بنفسها حتى قتل مسيلمه الكذاب وعادت من المعركة وبها عشر جراحات .

وعندما يروى لنا كيف أنقذت أم سلمى المسلمين من هلاك محقق فى الحديبية وشهد لها محمد الرسول عليه السلام بفضلها قائلا وهو فى غاية السرور والفرح « حبذا أنت ياأم سلمى ، لقد انقذ المسلمون بك اليوم من عذاب اليم »

والتاريخ عندما يروى لنا عن شجرة الدر التى هزمت جيوش فرنسا وأسرت ملكها لويس التاسع . وعندما يروى لنا عن فتاة فى سن العشرين

هى « جان دارك » استطاعت أن تنقذ فرنسا عندما حاصرت الجيوش الانجليزية مدينة « أورليان » فى عهد شارل السابع .

وعندما يروى لنا عن « بيانكا ماريا فسكونتى » التى قادت الجيوش فى حومة الصراع وانحدرت بها إلى المعامع تناضل نضال النمرات .

وعندما يروى عن أعظم تضحية وانبل فداء من مدام رولان التى كانت من الموهوبات فى السياسة والأدب ومن أبرز أعضاء حزب الجيروند وقدمت رأسها إلى المقصلة مع أعظم رجال فرنسا .

وعندما يروى لنا عن « شارلوت كورداى » الفتاة التى ثارت على الطغاة وقتلت المجرم « مارا » بعد أن أحال شوارع فرنسا إلى برك ومستنقعات من دماء الأبرار الذين أرسلهم إلى الجيلوتين وعندما يروى لنا كيف قامت « ليدى هاملتون » بدور خطير فى هزيمة أسطول نابليون فى أبى قير .

وعندما يروى كيف ساهمت نساء وفتيات ستالينجراد فى هزيمة مجرم الانسانية الأول هتلر . الأمر الذى شهد له تشرشل عندما قال .

« إن هؤلاء المردة قد غيروا وجهة الحرب ، وتاريخ الدنيا »

التاريخ عندما يروى كل ذلك وغير ذلك فانما يعطينا أروع شهادة لنصف البشرية تكلل هامته بالغار .

وقد سبقت مصر أمم العالم أجمع فى الاعتراف بانسانية المرأة والمساواة

التامة بينها وبين الرجل ، ورفعت المرأة أيضا إلى عرش المملكة .

وظلت المرأة المصرية على هذا الحال حتى دخلت مصر عصور الاستعمار المختلفه ، وفى كل عصر إستعمارى كان المجتمع المصرى ينحط حتى جاء الوقت الذى بلغ فيه الحضيض واستتبع انحطاط المجتمع انحطاط المرأة ، حتى أصبحت تحرس فى سجون الحريم من الخصيان والأغوات ، بل أصبحت محكومة بهم ، وليس بعد هذا تسفل وانحطاط .

ولكن لما نهض المجتمع المصرى بعض الشىء ، نهضت المرأة المصرية بمقدار ما سجله المجتمع من نهضة وارتقاء . وكان من أثر هذا تحطيم أسوار الحريم وسجونه .

وإنك لا تجد مجتمعاً سليما راقيـــاً إلا وفيه المرأة مستقلة متحررة تشارك الرجل فى الأعمال العامة .

وأمامك المجتمعات التى حررت المرأة واعترفت بإنسانيتها وأشركتها مع الرجل فى الحياة السياسية والاجتماعية ، والمجتمعات التى فصلتها وعزلتها قارن بينهم لتجد الفرق فرق البعد بين السماء والأرض .

هذا هو الواقع ولكننا نفر منه ، وندس رؤوسنا فى الرمال كالنعام حتى نتعامى عنه ، ونتعامى أيضاً عن حقائق التاريخ والحياة الحديثة . ومقتضيات المدنية والتطور ، إما لتقاليد همجية رجعية ورثناها ، أوهمتنا أن فيها الشرف والفضيلة ، وما فيها شرف إلا سراب نحسبه شرفا ، وما

فيها فضيلة وإنما قشور عفنة نحسبها فضائل .

ونتعامى أيضا لعقد نفسية استعبدتنا من المرأة ، ولمركب نقص أذلنا ولكننا نتعامى على أى حال عن إدراك الحقائق على روعتها وبيانها . ويستعصى علينا أن نرضى العقل والشهوة معاً ، فبدلا من أن نرضى العقل نقمعه لتنطلق الشهوة .

ما من قضية كبرى من قضايا الحياة الاجتماعية — إحتكمت فيها شهوات الرجال وأنانيتهم وعموا فيها أو تعاموا عن الاعتراف بحقائق هى من البيان والوضوح بحيث لا تحتمل مراء ولا استرابه . مثل قضية المرأة .

نعم يمضى الرجعيون متعامين عن الحق الواضح الجلى ، قائلين تارة أن المرأة عاطفية ، وتارة أخرى أن المرأة خلقت للبيت ، وتارة أخرى يقولون بالدين والتقاليد . يقولون هذا دون أن ينظروا برهة إلى الماضى ليروا الفارق الكبير الذى يفصل زماننا ، والزمان الذى راجت فيه هذه الأقوال ، والآراء ، وكأن الزمن لا يتقدم ، وكأن الأرض لا تلف حول الشمس ، وكأنما تطور الأشياء عضويا ومعنويا ليس له أثر فى حياة القرن العشرين .

بمثل هذه العقلية المحجبة ننظر إلى المرأة ، وقد نسينا إلى جانب هذا بعض الحقائق الواضحة . كانت المرأة محجبة وجها وعقلا فأسفرت ، وأصبحت سيدة ومحامية ومهندسة وطبيبة وصحفية وأستاذة وموظفة ،

واندمجت فى المجتمع تزاحم الرجل بالمنكب والذراع . ثم بعد هذه الحقائق كلها نجد من يتبجح ويقول لها : لا إنك خلقت للبيت ولا يجب أن تتمتعى بحقوقك السياسية !

ونمعن فى الظلم ونصر عليه ، ونأتى برجل جاهل أمى ما زال يحمل يدين لا تعرف كيف نخط اسمه ونعطيه الحقوق السياسية ونحرم المرأة المصرية المثقفة هذه الحقوق !! لماذا ؟ لأن المرأة المصرية خلقت للبيت وكتب عليها أن تظل عبدة تباع وتشترى وتنتهك إنسانيتها علناً ، باسم المحافظة على البيت !! وباسم المحافظة على الدين والغيرة على التقاليد !!!

ترى أكان المتنبى كاذبا أم صادقا عندما قال :

وكم بمصر من المضحكات . ولكنه ضحك كالبكاء .

ولست أدرى إن كانت المرأة المصرية فى نظر الرجعيين إنسان أم لا ؟ ذلك إنها إما أن تكون إنساناً أو لا تكون .

فإن كانت إنساناً فيجب أن ننظر إليها على إعتبار أنها مساوية لإنسان آخر خلق من طين كما خلقت من طين . وحملته أمه تسعة أشهر كما حملتها أمها تسعة أشهر .

هذا الانساناً الآخر هو الرجل ..

وإذا لم تكن إنساناً ، فلم هذه الضجة التى تثار كل يوم حول حقوقها السياسية والاجتماعية ؟ ولم لا نخمد أنفاسها بالقوة حتى نستريح منها

ونريحها منا ؟ ولم لا نرجعها إلى الحريم من جديد لتكون زهرية جميلة نتمتع بمنظرها أو سجادة جميلة ندوس عليها ؟ ولم لا نبعث تجارة الرقيق من مرقدها لنأتى بالأغوات والخصيان ليحرسوا لنا هذه البضاعة التى أدخلناها الحريم ؟ !

لقد انحطت والله عقلية هؤلاء الذين يقفون أمام نهضة المجتمع ممثلة فى نهضة المرأة حتى فاقت فى انحطاطها عقلية القبائل البدائية . لأنك لو جئت برجل من هذه القبائل وسألته هل المرأة إنسان لها مثل ما للرجل من حقوق ؛ لأجابك بالفطرة التى يحيا عليها ، نعم إنها إنسان لها مثل الذى للرجل ومن لا يعتبرها كذلك فهو الحيوان .

فمن من الرجال يريد أن يكون حيوانا ؟ لا أعتقد أن أحداً يرضى أن يكون كذلك .

المرأة إذن إنسان كالرجل تماما ، وعن هذا الأساس أؤمن بوجوب تساويها مع الرجل فى جميع الحقوق والواجبات سياسية واجتماعية .

وإن الرجعيين فى معارضتهم حقوق المرأة يتشعبون كالأخطبوط . فمنهم من يقول أن المرأة لا تصلح للاعمال العامة لأن الطبيعة فرقت بينها وبين الرجل فى التكوين الجثمانى ، كما أنها عاطفية لا تحسن الرأى والتدبير

ومنهم من يقول أن المرأة خلقت للبيت .

ومنهم من يقول أن التقاليد الشرقية تمنع المرأة من مباشرة الحقوق السياسية .

ومنهم من يقول أن الدين لا يسمح .

ومنهم من يقول أن المرأة المصرية ما زالت جاهلة !

والجميع تربطهم رابطة الخوف من فقد السيطرة على المرأة ، تلك السيطرة التى نظنها — نحن الشرقيين مقياس رجولتنا وشهامتنا ، وما هى إلا مقياس لتأخرنا وانحطاطنا . وجدير بنا أن نفند حجج هذا الأخطبوط حجة بعد حجة ، تاركين للقارىء الكريم أن يحكم بيننا وبينهم إذا حرر عقله من شلل التفكير وأبعد عنه التعصب والتحيز .

لا أثر لعاطفية المرأة فى الأعمال العامة : —

فقد أثبت العلم الحديث أنه ليس بين الرجل والمرأة فروق سوى هذه الأشياء ،

(١) أعضاء التناسل .

(٢) قلب المرأة أقوى من قلب الرجل .

(٣) الحوض عند المرأة أكبر فى نسبته إلى الجسم منه عند الرجل

(٤) الأجزاء العليا من الساقين تختلف فى تركيبها عند الجنسين ،

(٥) المرأة فى تنفسها تجتذب الأنفاس من أضلاع الصدر أكثر مما تجتذبها من جوفها على عكس الرجل فى ذلك ؛

(٦) حنجرة المرأة أصغر من حنجرة الرجل ولذلك اختلفت نبرات صوتها عن صوته .

(٧) العمود الفقرى للمرأة أقل طولا من العمود الفقرى للرجل .

هذه هى الفوارق الطبيعية بين المرأة والرجل :

والآن نريد أن نسأل :

هل تمنعها هذه الفوارق من الاشتراك فى الحياة العامة ؟

هذا مالم يقم الدليل عليه فى جميع الدول التى منحت المرأة حقوقها السياسية والاجتماعية كاملة .

ولقد كان الرأى الذى يسود المجتمع فى جميع الدول . أن المرأة لاتصلح الا لفراش زوجهـــا وأن الطبيعة خصتها بالبيت . حتى إذا اشتركت مع الرجل فى جميع نواحى الحياة العامة بهرته بعقلها وأدهشته بامكانيتها ، واثبتت له أن العاطفة التى يرميها بها الرجعيون ليس لها أثر فى أعمالها العامة ، وقدمت لذلك الدليل من الواقع المشاهد . . والواقع المشاهد أنه عنـدما أعطيت حقوقها السياسية كاملة فى بلاد كانجلتره والولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وتركيا والباكستان وأندونيسيا والهند وسوريا وإيطاليا ... الخ لم ينتج من ممارستها هذه الحقوق أى ضرر بمصالح تلك الأمم.

ولقد ذهبت المرأة إلى أبعد من ذلك وأثبتت قدرتها على منافسة الرجل فى سياسة الملك ، وفى السياسة العالمية الدولية .

فى سياسة الملك نجد نساء ارتفعن ببلادهن إلى ذروة المجد والعظمة (كماريا تريزا) امبراطورة النمسا ، وكاترينا الثانية ، امبراطورة روسيا التى كانت تلقب بكاترين الأكبر . ولقبها « فولتير » برجل أوروبا العظيم . وقال عنها « ديدروه » :

« أنها تحمل تاجا له فى المجد شعب ثلاث . مجد الفاتح . ومجد المؤسس المشيد . ومجد المشرع » .

والملكه اليصابات ملكة انجلتره ، وفكتوريا التى فى عهدها بلغت بريطانيا ذروة مجدها وعظمتها .

وفى السياسة العالمية الدولية نجد المرأة تلعب دوراً خطيراً ، هو مساهمتها فى اقرار السلم الدولى ،

وقد كانت أول سيدة بذلت جهوداً لمنع الحروب بين الدول ، هى « فردريك بريمر » ، إذ كونت سنة ١٨٥٤ اتحاداً عالمياً هدفه الأول العمل على اقرار السلم وفض المنازعات الدولية .

ثم تبعتها « مدام برتافون سوتنتر » فى هذا الصدد — والفت كتابا بعنوان « القوا السلاح » ، كان له دوى كبير . واعترفا بفضلها نالت جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٠٥

وفى سنة ١٨٨٨ تأسس فى أوروبا المجلس النسائى الدولى لفض المنازعات الدولية ، وقد نص فى دستوره على أن هيئته لاتبث الدعوة لسياسية معينة ولا لصالح دولة معينة . بل تعمل على أساس المبدأ القائل « عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به » ، وإن على هذه الهيئة أن تبذل كل نشاطها فى تطبيق هذا المبدأ على الحياة الاجتماعية والعادات والتشريع .

وقد رأست هذا المجلس « الليدى ابردين » ، وكان له أعضاء وفروع فى معظم دول أوروبا وأمريكا :

ولعل الكثيرين يعلمون أن الرئيس ولسن استوحى مبادىء التى تقدم بها لانهاء الحرب العالمية الأولى من قرارات مؤتمر نسائى انعقد فى امريكا سنة ١٩١٥ للدعوة إلى وقف الحرب ؛ ورأسته « مسز جين آدامز » التى نالت جائزة نوبل للسلم سنة ١٩٣٢ تقديراً لجهودها وكفاحها العظيم فى هذا الصدد .

هذا المؤتمر انتقل إلى لاهاى وضم نساء الدول المتحاربة فى ذلك الوقت وهى بريطانيا والمانيا وفرنسا وبلجيكا وروسيا وايطاليا واننا لنعجب كيف يجتمع فى مكان واحد نساء دول متعادية لازالت ناشبة بينها الحرب ولكنها الغاية النبيلة التى لاتتأثر بعاطفة أو حقد أو كراهية : الغاية إلى السلام .

وللمرأة فضل آخر على الانسانية إذ هى التى دفعت إلى الغاء الرق

نهائياً من الولايات المتحدة ، فان كتاب « كوخ العم سام » الذى ألفته « مسز بتشر ستون » أهاج الضمير الانسانى والشعور البشرى ، فتقدم الرئيس « ابراهام لينكولن » وألغى الرق وحرر العبيد مخلداً اسمه بين أبطال التاريخ .

وإذا إنتقلنا إلى الهند لنرى جهاد المرأة لتحرير وطنها رأينا العجب . وإنى أنصح الرجعيين الذين يقولون بعدم صلاحية المرأة أن يقرءوا شيئاً من تاريخ كفاح المرأة الهندية لعل حمرة الخجل تظهر على وجوههم ولو قليلا .

وإذا كانوا مصرين على تكذيب التاريخ وعدم الاعتراف به ، فلينظروا إلى الواقع الحاضر بأن يرسلوا أبصارهم إلى ما وراء البحار ، علهم يروا « مسز باندیت نهرو » وهى جالسة على كرسى الرئاسة فى أكبر هيئة دولية عالمية . واعتقد أن وجود هذه السيدة العظيمة على رأس هيئة الأمم المتحدة ، مثل حى جدير بأن يوبخ المفترين على المرأة ويسخر منهم ويستهزىء بهم .

ونريد أن نسأل :

هل عملوا بالحوادث التى جاءتنا من جيانا أم أنهم من سكان المريخ لايشعرون بالاحداث التى تجرى فى العالم ؟

إن فيها مايخجلهم وما يحقر عقولهم ... فيها أن امرأة قادت حركة التحرير ضد بريطانيا .. فيها أن الأسطول البريطانى قد تحرك إلى جيانا

بسببها .. فيها الأدله الكافية على أن المرأة تصلح لكل الأعمال العامة التى يباشرها الرجال ... فيها أن العاطفة التى ترمى بها المرأة كذباً وزوراً لاتحول بينها وبين صلاحيتها لمشاركة الرجل فى الحياة العامة ... فيها أدلة عملية لايستطيع أى مكابر أن يعارضها أو يهدمها ولكنه فقط يتعامى عنها ، كما يتعامى دائما عن الحقيقة والواقع .

ونستطيع أن نجد فى الاسلام دليلا آخر يدفع حجج القائلين بعاطفية المرأة وما ينتج عنها من اساءة الرأى والتصرف .

لقد أعطى الاسلام المرأة الحرية المطلقة فى إدارة أموالها والتصرف فيها بكافة أنواع التصرفات القانونية بغير تدخل من زوجها .. أجل أعطاها هذه الحرية متى كانت أهلا لمباشرة التصرفات القانونية . فلماذا لم يقيد الاسلام حريتها — فى هذا الصدد — بحجة أنها عاطفية لاتحسن الرأى والتدبير ؟

إن عاطفة الانسان وما ينتج عنها من اساءة التصرف ، إنما تظهر بوضوح فى دائرة المعاملات المالية أكثر من ظهورها فى أى مجال آخر .

إذن سفسطة الرجعيين يجب أن تؤذن بالانتهاء . وإلا فان عقولهم فى حاجة إلى الرثاء والبكاء .

ولم تخلق للبيت . . . بل للامة :

ومن الرغبة فى كبت المرأة ، ومن الشعور بالنقص والعقد النفسية ، ومن النظرة الجنسية البهيمية التى اشتهرنا بها كشرقيين ، تدفقت كالسيل

نظرية سقيمة تقال للشعب فى كل مكان .. فى المنزل وفى المسجد وفى الكنيسة وفى الإذاعة وفى دور الجمعيات الدينية وفى الشارع وفى المقهى . أن المرأة خلقت للبيت وللبيت وحده .. خلقت كى تخدم زوجها وتقدم له فروض الطاعة والولاء !!

ولسوء حظ القائلين بهذه النظرية أنها لم تعد تقنع أحداً فى الغرب ولا فى أى مجتمع متحضر ، بل لم تعد تقنع العقول المتحررة فى مصر التى تتزايد باستمرار .

وما أتعسهم ... أجل ما أتعسهم ، لقد هدم الواقع هذه النظرية وجردتها الحقيقة من مقومات بقائها فى المجتمعات المتحضرة ، ففنيت كما تفنى فقاقيع المستنقعات ، وغامت ذكرى القائلين بها وراء حثيات من التراب الذى أثارته أقدام الطلائع الزاحفة من النساء إلى الحياة العامة .

وما أحسب أصحاب هذه النظرية إلا من محترفى التجارة بالرجعية . وكثيراً ما أسمعها من كهول وشيوخ فالتمس لهم العذر ، فقد عاشوا فى زمن الحريم وتربوا على أيدى الأغوات المخصيين ورسبت فيهم افكار هذا الزمن الأغبر ، وتصلبت فيهم عوائده وتقاليده . ولكن مما يؤسف له أن يردد بعض الشباب هذه النظرية الطائشة كالببغاء . وذلك أن المفروض أن يكون الشاب متحرر العقل بعيداً عن الأفكار الجامدة والتيارات الرجعية .

ونحن نصف لهؤلاء الشبان حال المرأة عندما كانت هذه النظرية

مترجمة إلى الحقيقة والواقع .

تشرف إذا أقدمت على قصر من قصور الحريم فى القاهرة على باب ضخم ثبت خشبه بمسامير غلاظ من الحديد ، يوحى إليك منظره ولو من طريق الوعى الباطن ، أنه شيء خارج على الطبع وعلى الضرورة . ويمتد من وراء هذا الباب دهليز طويل مستوف يسمى « السباط » ، وعند نهايته باب آخر يسمى « باب الخوخه » .. هـذا الحد فاصل بين دنيا الأموات ودنيا الأحياء . أى بين عالم النساء وعالم الرجال .

وعلى « باب الخوخة » يقف حارس منتصب القامة أسود اللون هو الأغا . والأغا هو الحاكم بأمره ، المستبد برأيه ، وسلطته هـذه يستمدها من موافقة صاحب القصر . فاذا تجاوز الفتى سن العاشرة ، وإذا وصلت الفتاة سن الثامنة ، فالأول يمنع من المرور من باب الخوخة ، أما الثانية فيوصد عليها باب يسمى ، « باب الحريم » ، حيث تعيش إلى آخر العمر لأنها قد بلغت سن الشك فى عفافها وشرفها (١) !!

ولا تقف سلطة الأغا أو الخصى عند حد التحكم فى الفتيان والفتيان ، بل تمتد إلى السيدات جميعا بدون استثناء ، أى حتى زوجة صاحب القصر أو زوجاته الأربعة .

وما ذلك الأغا والخصى إلا عبد خطيف من أهل الجنوب ، اجتزت

---

(١) أنظر كتاب فى ظل الديمقراطية — للاستاذ مظهر

مذاكيره ليكون صاحب القصر فى مأمن من نزوات نسائه !!

أى عقد نفسية تقوم فى نفس المرأة فى مثل هـــذه البيئة ؟ وأية أحاسيس تتناوبها ؟ وأية خيالات تساورها ليلا ونهاراً ؟ لا أعتقد أن مثل هذا فيه من الخير شيء !

تلك هى الصورة التى يتخيلها أولئك الذين يقولون أن المرأة خلقت للبيت .

يريدونها مخلوقا مترهل الجسم ، فاتر النزعات ، ميت الأحاسيس !!
يريدونها غسالة وخادمة وطباخة وحاملة قمامة من بيوت حضراتهم !
يريدونها للزينة والمتعة والشهوة الجنسية !!
أليس هذا ماتريدون المرأة عليه أيها القائلون بأن المرأة خلقت للبيت؟
سيقول بعضهم لا . إنما نريد المرأة معززة مكرمة متعلمة ولكن لاتباشر عملا فى الحياة العامة لأن ذلك يصرفها عن البيت والاشراف على أولادها .

وهذا القول لم يعد له سند من الواقع ، إذ ثبت أن اشتغال المرأة فى الحياة العامة فى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وسوريا ولبنان وأندونيسيا والباكستان ... الخ — لم ينتج منه ضرر على البيت .

وأى ضرر يصيب البيت من ذهاب المرأة كل أربع سنوات أو خمس إلى لجان الانتخاب لاعطاء صوتها ؟

وأى ضرر عليه - أيضاً - من جلوسها فى البرلمان مدة ساعتين أو ثلاثة كل أسبوع ... ثم أن اشتغال المرأة المصرية فى الوظائف العامة لم يجر الخراب على منزلها أو يهدم حياتها الزوجية .

وإن أردتم الدليل فخذوه من احصاءات الطلاق ، إذ تسجل أن نسبة الطلاق يكاد ينعدم فى أوساط السيدات المثقفات المشتغلات فى الحياة العامة . وأظن أن هذا دليل قوى يفقأ عين كل مكابر اللهم إلا إذا أغمض عينه حتى لايراه .

إن هؤلاء المساكين لم يدركوا بعد ، أننا نعيش فى عصر أساسه اقتصادى بحت ، وأن مستوى المعيشة قد أثبت أنه غير قادر على الارتفاع إلى درجة تليق بأمة متمدنة ، إلا إذا عمل كل إنسان قادر فى الدولة . أى إذا إشتغلت المرأة أيضا كما هو الحال فى البلاد التى سبقتنا إلى الحضارة والرقى .

وإن الولايات المتحدة مثلا ما كانت تبلغ بمستوى معيشة الأسرة مابلغته من ارتفاع كبير إذا كانت قـــد عطلت نصف شعبها عن العمل واقتصرت على النصف الآخر . والحياة الزوجية المستقرة تتطلب أولا دخلا معقولا . ولا استقرار لحياة مؤسسة على دخل لايسعف الأسرة فى نفقاتها .

ولما كانت الحياة الاقتصادية قدأوضحت لنا — ومازالت — عجز

الرجل وحده عن ايجاد المال الذى يرتفع بمقتضاه مستوى معيشة أسرته إلى الحد المعقول ، فلا حرج — بعد ذلك — إذا نزلت المرأة إلى ميادين العمل المختلفة لتساهم هى الأخرى فى رفع مستوى المعيشة .

وخذوا هذا المثال البسيط :

موظف مرتبه الشهرى ٢٠ جنيها ، متزوج وله أولاد . ماذا يفعل إذا لم يغط هذا المبلغ نفقاته الضرورية من مسكن وملبس ومأكل وعلاج هل يسرق أو يرتشى ؟ أم تخرج زوجته إلى العمل لتكتسب هى الأخرى عشرين جنيها ويصبح دخل الأسرة أربعين جنيها وبذلك يرتفع مستواها المعيشى عما كان عليه ، فتستطيع أن تحيا حياة أسعد ؟

ألا أن لعنة الله على هؤلاء الرجعيين إذا مافضلوا أن يسرق هذا المسكين أو يرتشى على أن تنزل زوجته إلى ميدان الأعمال لتكتسب ؟

وليس ارتفاع مستوى المعيشة — فقط — هو الذى يتطلب أن تعمل المرأة بل تأتى ضرورة أخرى تحتم على المرأة أن تشتغل .

هذه الضرورة هى حماية مستقبلها من عبث الرجل . . . أجل إن المرأة لتضع مستقبلها وحياتها على كف القدر إذا ماقبلت إن تكون عالة على زوجها . خصوصا إذا نكبت بزوج مستهتر لايراعى شعورها ولايحافظ على كرامتها .

وإذا فرضنا — وهذا يحدث كثيراً — ان تخلى عنها زوجها ورماها

فى عرض الطريق ؟ فماذا تفعل إذا لم يكن لها مورد مستقل ؟

تحترف البغاء ؟ تسرق ؟ تبيع أوراق اليانصيب فى الشوارع والميادين ؟

ماذا تفعل أيتها الرجعية الرشيدة ؟ ! هل ستطعمينها وتكسين عورتها وتنفقين على أطفالها بخزعبلاتك وأراجيفك وتقاليدك ؟ !

ولست أعرف والله ، أى عدل أو قانون أو أى ضمير يعطى للرجل الحق فى أن يكتسب بما يجعل له اليد العليا على المرأة ، بها يذلها ويستعبدها ولا يكون للمرأة نفس هذا الحق ليكون لها من الاستقلال الاقتصادى ما تتحصن به من عبث الزوج واستهتاره ؟

اللهم لا حق ولا عدل ولا قانون ولا ضمير حى يمنع المرأة من هذا الحق . وإنما يمنعها منه تقاليد درجنا عليها ولزمناها غير شاعرين أن زمنها قد ولى وانقضى متعامين عن أن حقائق الحياة قد عصفت بها وأن تيارات المدنية والتطور قد زرتها فى الفضاء رمادا .

والآن إلى هؤلاء الذين يتمسحون فى الدين !

الدين . . . مظلوم

ما كنت أريد أن أقحم الدين فى موضوع المرأة ، خصوصا بعد أن اعترفت تركيا والباكستان واندونيسيا وسوريا بكافة الحقوق السياسية والاجتماعية للمرأة .

وكل هذه الدول تعتنق الدين الذى نعتنقه مع فارق كبير هو أنها لاتتاجر به أما نحن فقد عرفنا جيدا كيف نتاجر بالدين وكيف نكسب ونربح الأموال الطائلة من هذه التجارة ،وماهذه الأموال الاحب الظهور والنفاق والكذب والتغرير بعقول الجماهير الساذجة !

لقد خرج نساء العالم المتمدن إلى الحياة العامة يساهمن فى توطيد أركان الحضارة والتقدم ، ونريد لنسائنا أن يكن قعيدات البيوت ، وأن يظللن كالكائنات المنحطة ، وأن يمضين ذليلات حقيرات بعيدات عن الحياة ، مقصورات على الطبخ والغسل وحمل القمامة إلى خارج الحجرات والمنازل ، ثم نقول أن ذلك حكم الله !!! وماهو حكم من الله . وانما حكم عقولنا الجامدة التى لاتريد أن تساير الزمن وتبغى أبدا أن تظل مأسورة فى حلقة مفرغة من الأفكار البالية والتقاليد الموروثة .

لقد اتخذ تجار الدين من بضعة نصوص أشير بها إلى حالات قامت فى عصور غابرة ، سبيلا إلى استعباد المرأة استعباداً أبديا ، واختلقوا تفسيرات ترمى المسلمين إن صحت — بالهمجية والجمود والفوضى .

ولقد وصمت مجلة « تايم » الأمريكية — التى توزع أكثر من خمسة ملايين نسخة فى الأسبوع — المسلمين بالتأخر والجمود عندما قالت — فى شهر أغسطس سنة ١٩٥٢ — فزعمت أن دينهم حرم المرأة من التعليم وفرض عليها أن تلزم بيتها ومنعها من الاشتراك فى الحياة العامة ... الخ .

واستندت المجلة العالمية المذكورة فى قولها هذا . على الفتوى التى أصدرها الازهر بخصوص المرأة .

ولكن سيان عند تجار الدين أن يصور الاسلام فى صورة تعصب وتزمت وجمود أم لايصور ، مادامت هذه التجارة تخدم أغراضهم وتشبع شهواتهم وترضى جهلهم المطبق .

وتعالوا نتعقبهم فى النصوص والاحاديث التى يستجيرون بها وتأبى إلى أن تخذلهم .

الرجال قوامون عن النساء

إذا نحن قلنا البرلمان قيم على الحكومة فهل معنى هذا أن الحكومة ليس لها حقوق سياسية تباشرها ؟

ومع ذلك هذه الآية لادخل لها فى الحقوق السياسية للمرأة أى أنها لاتنهض دليـــلا ولا قرينة على حرمان المرأة من حقوقها السياسية .

والدليل على ذلك : ـ

(١) إن هذه الآية كانت محفوظة فى قلب كل مسلم ومسلمة فى صدر الاسلام . ومع ذلك كانت المرأة تشارك الرجل فى المجتمع والحياة العامة

(٢) إن قوامة الرجل المذكورة فى هذه الآية قوامة خاصة محصورة فى دائرة الحياة الزوجية فقط . ومعناها أن الرجل هو المكلف بالانفاق على زوجته وأولاده ورعايتهم والدفاع عن مصالحهم . وهذا فى نطاق المساواة التامة بين الزوجين ، أى أن هذه القوامة لاتبيح له سلب إرادة الزوجة وحريتها فى التصرف . فحقها فى إبداء رأيها السياسى - مثلا - لاسبيل للزوج عليه .

وقد فسر الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبده قوامة الرجل على المرأة بقوله :

« أن القوامة فى الاية لاتعنى أكثر من إشراف الرجل على زوجة وأهله إشرافا يقوم على إحترام حق المرأة فى الرأى والتصرف » . وإلى هذا المعنى ذهب الاستاذ الشيخ محمد رشيد رضا . وقوامة الزوج على زوجته مشروطة بشرطين :-

الاول : أن ينفق من ماله عليها وعلى أسرته بدليل قوله تعالى فى الآية « وبما انفقوا من أموالهم »

الثانى : أن يكون زوجاً فاضلا ، فليس لزوج عابث مستهتر قوامه على زوجه فاضله بدليل قوله تعالى فى نفس الاية .

« وبما فضلنا بعضهم على بعض »

وهذا الدليل يستنتج عقلا من هذه العبارة : فهل الزوج العابث الذى

لا يرعى حرمة الحياة الزوجية جدير بأن يكون قيما على زوجة تفضله أخلاقا وعلماً ؟ لا يمكن . بل إن هذه القوامة تسقط عنه ، وتكون زوجته أجدر وأخلق بأن تكون قيمة عليه وعلى أسرتها وأولادها . بل وعلى ثروته وشئونه ومعاملاته . وكثيرا ما رأينا زوجات قد أصبحن وصيات أو قيمات بأحكام القانون والشرع على أزواجهن .

ونحب أن نذكر هنا أن قوامة الزوج على زوجته لا تمتد اطلاقا إلى أموالها ، فهى تستطيع أن تتصرف فيها بكافة أنواع التصرفات القانونية دون الرجوع إليه . ونحن نستدل من ذلك على أن قوامة الرجل تدور فى أضيق الحدود .

والخلاصة أن هذه الآية ليس لها دخل من بعيد أو من قريب فى موضوع حقوق المرأة السياسية . وما دام الأمر كذلك فعلى الرجعيين أن يكفوا عن التمحك فى هذه الآية التى تخذلهم خذلانا مبينا .

(٢) آية « النساء شقائق الرجال لهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة » .

تصيد الرجعيون هذه الدرجة ، وزعموا ان الدين يرفض المساواة بين الجنسين . وقولهم هذا غير صحيح .

إن الدرجة التى أعطاها الله للرجل إمتياز عائلى ، لأنه ينفق من أمواله على زوجته وأولاده . أو المفروض شرعاً أن ينفق ولو كانت زوجته تفوقه مالياً .

وإذا أمعنا النظر فى الأمر نجد أن الله قد أعطى للمرأة حقاً يقابل الإمتياز الممنوح للرجل ، هذا الحق هو الانفاق عليها من مال زوجها . وبعبارة أخرى ، درجة على زوجته يقابلها حق للزوجة عليه .

إذن فهذه الدرجة لا تعدم المساواة التامة بين الزوج وزوجته أو تقلل منها .

يقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا .

« فهذه الجملة تعطى للرجل ميزانا يزن به معاملته لزوجته فى جميع الشئون والأحوال . فإذا هم بمطالبتها بأمر من الأمور يتذكر أنه يجب عليه مثله بأزائه ، ولذا قال بن عباس إنى لأتزين لزوجتى كما تتزين لى ... وليس المراد بالمثل المثل لأعيان الشيء . وإنما أراد أن الحقوق بينهما متبادلة

وإنهما أكفاء فما من عمل تعمله المرأة للرجل إلا وللرجل عمل يقابله لها . كما أنهما يتماثلان فى الذات والاحساس والشعور والعقل . أى أن كلامنهما بشر تام له عقل يتفكر فى مصالحه . وقلب يحب ما يلائمه ويسر به ويكره ما يلائمه وما ينفر منه ، فليس من العدل أن يتحكم أحد الجنسين فى الآخر ويتخذه عبداً ويسيخدمه فى مصالحه ، لاسيما بعد عقد الزوجية والدخول فى الحياة المشتركة التى لا تكون سعيدة إلا باحترام كل من الزوجين الآخر والقيام بحقوقه » .

ويذهب العالم الفاضل إلى القول بأن رياسة الرجل فى البيت شورية

لا إستبدادية بمعنى أن لا يستبد برأى ولا أمر من الأمور دون استشارة زوجته وتلقى رأيها فيه ، (١) .

إن هذا العالم الفاضل ، عندما قال هذا الكلام لم يكن متأثراً بروح العصر الذى نعيش فيه ، فقد أمضى حياته فى زمن النقاب والحريم . ولكنه يقول هذا على أساس الفهم الصحيح للدين .

لقد خرجنا عن موضوع حقوق المرأة السياسية ، ولكننا تعمدنا ذلك ، حتى نقطع على القطيع الرجعى كل طريق فى تفسير هذه الآية . ولنبين لهم أنها آية تتصل بتنظيم الأسرة ولا تمنع المرأة من حقوقها السياسية .

٣ — آية للذكر مثل حظ الأنثيين :—

هذه الآية لا يستدل منها على عدم المساواة بين الجنسين أو التقليل منها . ذلك أنها تحصر العمل بمقتضاها فيمن يكونون من جنس واحد .

كالأب مع الأم ، والأخ مع الأخت . إذا لم يكن ثمة وارث سواهما .

وهذه التفرقة إقتضتها الضرورات الاقتصادية . فالمعروف أن الرجل هو المكلف شرعا بالنفقة على الزوجة والأولاد . وقد يكون له غير

---

(١) راجع كتاب « نداء إلى الجنس اللطيف أو حقوق النساء فى الاسلام » الاستاذ الشيخ رشيد رضا .

هؤلاء من الأقارب الأقربون ، تقتضى الضرورة الانفاق عليهم .

ولما كان الرجل ممنوعا من أن ينفق من مال زوجته اللهم إلا إذا قبلت . لذلك أراد الشارع أن يمكنه من القيام بهذا الواجب على أكمل وجه فجعل له نصيباً مضاعفا من الميراث . وإذا أمعنا النظر قليلا وجدنا الشارع يكمل ما نقص المرأه من ثلاث نواحى :

أولا : — بما يدفعه الزوج لها من مهر

ثانيا : — بما حدده الشارع لها من ميراث زوجها .

ثالثا : — حقها فى توفير مالها الخاص واستثماره وتنميته ، وبهذه الوسيلة تستطيع تعويض مانقصها بل وتفوق زوجها ماليا، فى الوقت الذى يستهلك هو ماله للنفقة عليها وعلى الأسرة .

حقيقة أن هذا لا يحدث الان . فالزوجه إذا امتلكت شيئا تساهم فى النفقة على الأسرة ، بل يحدث أحيانا . أن يسطو زوجها على مالها ويبدده أو ينهبه بغير وازع أوضمير . ولكن ماللدين وهذا ، إنه عندما أعطى الرجل الضعف من الميراث إعتبر الاعتبارات التى ذكرناها .

وبالرغم من ان الشارع حدد للرجل الضعف . هل يذهب دائما به ؟ كلا .

روى عطاء :

أن سعد بن الربيع إستشهد وترك ابنتين وزوجه وأخا ، فأخذ أخوه

المال كله فأتت الزوجه ومعها البنتين إلى الرسول وقالت :

يا رسول الله : هاتين إبنتى سعد بن الربيع ، استشهد أبوهما فى أحد وقد أخذ عمهما المال كله .

فدعا الرسول العم وقال له :

(اعط إبنتى سعد الثلثين ، واعط أمهما الثمن ، ومابقى فهو لك) .

وكان هذا الباقى أقل من السدس ؟(١).

فمن الذى إستأثر بنصيب الأسد فى الميراث ! البست الأنثى .

٤ — آية (فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء) :

يأخذون من هذه الاية الكريمة دليلا على أن للمرأة شأنا أدنى من الرجل فى الحياة العامة . لأن الشارع لا يكتفى بشهادة المرأة الواحدة فى حين يكتفى بشهادة الرجل الواحد .

ونحن نسأل هؤلاء العباقرة !!

هل تجوز شهادة الزوج على زوجته ؟ إن أبى حنيفة يرفض هذه الشهادة مع أن الزوج رجل .

هل تجوز شهادة رجل من البادية على رجل من أهل الحضر ؟

أن الرسول عليه السلام يرفض هذه الشهادة إذ يقول :

« لاتجوز شهادة بدوى على صاحب قرية » وإلى ذلك ذهب الامام مالك . فلماذا أليس البدوى رجلا ؟

---

(١) أصول الفقة — للاستاذ الشيخ عبد الوهاب خلاف — استاذ الشريعة بكلية الحقوق بجامعة القاهرة .

وهل تجوز شهادة الأب على ولده ؟

لماذا إذن لاتجوز شهادة هؤلاء جميعا وهم رجال .

إنها لاتجوز لاعتبارات قانونية صرفه لاحظها الشارع ، واقتضت أن يكون نصاب الشهادة فى بعض الأحوال بالنسبة للرجل أو المرأة أربعة رجال كما هو الحال فى جريمة الزنا .

هذه الضرورة القانونية البحتة هى التى جعلت للرجل الحضرى مزية فى أن لا يشهد عليه الرجل البدوى .

وهى الضرورة نفسها التى جعلت للزوجـــة مزية فى أن لا يشهد عليها زوجها .

وهى الضرورة نفسها التى جعلت للابن مزية فى أن لا يشهد عليه أباه .

وهى الضرورة نفسها التى جعلت للمرأة الزانية مزيه فى أن لا يشهد عليها إلا أربعة رجال .

وهى الضرورة نفسها التى جعلت نصاب الشهادة إمرأتين أو رجل .

والمزية لا تقتضى الأفضلية كما يقولون (١) .

٥ — آية « واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا » .

نشرت مجلة روزاليوسف أن بعض المغفلين هتفوا فى وجه الدكتورة درية شفيق بهذه الآية وهى تدعو للمرأة وحقوقها السياسية فى إحدى مدن الصعيد .

وكل عاقل يدرك تمام الادراك أن هذه الآية لا تتصل من قريب أو من بعيد بموضوع حقوق المرأة .

---

(١) راجع كتاب الديمقراطية — خالد محمد خالد .

وبالرغم من ذلك سنتكلم عنها بايجاز لأن بعض الهمجيين يظنون أن هذه الاية تبيح استعباداً المرة .

لقد أثير بحث فى مسألة ضرب الزوج زوجته عندما تقدمت زوجة إلى محكمة روض الفرج فى العام الماضى تطلب الطلاق لأن زوجها اعتدى عليها بالضرب . فحكمت المحكمة بالطلاق . وقد جاء فى حكم الحكمة :

« إن العلماء اتفقوا أن الضرب المباح ، غير المبرح وحددوا آلة الضرب بأنها يجب أن تكون فى حجم السواك . وأن تصنع من عود خفيف الوزن فى سمك الأصبع الخنصر . ولا يزيد طولها على الشبر . وبينوا أنه لا يجوز ضرب الزوجة على وجهها بهذه العصا الصغيرة ... ولا تضرب بها مرتين على موضع واحد من جسمها . وبعد كل هذا هذا التخفيف ، أجمع علماء المسلمين على منع للضرب مهما خالفت زوجها » .

وأحب أن أقول لمن يتمحكون فى هذه الاية أن تحت يدنا أحاديث شريفة فى تقبيح الضرب والتنفير عنه .

منها حديث شريف روى عن عائشة « ألا يستحى أحدكم أن يضرب إمرأته أول النهار ثم يجامعها آخره ؟ » .

وروى البهيقى من حديث أم كلثوم بنت أبى بكر رضى الله عنه قالت :

« كان الرجال قد نهوا عن ضرب النساء ثم شكوهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بأنهن قد تمردن عليهم حتى قال عمر : يارسول الله قد ذئر النساء على أزواجهن ، أى تمردن وعتين - فخلى بينهم وبين ضربهن : فقال الرسول :

« ولن يضرب خياركم » .

٦ — « وقرن فى بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى »

هذه الاية خاصة بنساء الرسول ، بدليل قوله تعالى فى نفس الاية « يانساء النبى لستن كأحد من النساء » .

ومع ذلك إذا سلمنا — جدلا لا اقتناعا — بأن الآية لجميع النساء ، فلا يكون معنى هذا أن تسجن المرأة فى البيت وأن تكون فيه عبدة مسلوبة الحرية ، مسلوبة من كل معنى من معانى الحياة .

وإنما معناه أن البيت خلق للمرأة ولم تخلق المرأة للبيت . بمعنى أنه السكن والمأوى ، وأنه صومعة السعادة والحب . فواجبها أن تضع البيت فى المقام الأول . فان أرادت بعد هذا أن تضيف واجبات أخرى وأن تتمتع بحقوق فوق حقوقها كزوجة ، وأن تلتزم بالتزامات فوق التزاماتها كزوجة وكأم ، فان الدين لا يمنع بل يشجعها ويباركها .

كل ما تطلبه منها هذه الآية الكريمة إذن أن لاتهمل بيتها وأسرتها ، ثم بعد ذلك لها الحق فى الاشتراك فى الحياة السياسية والاجتماعية .

وقد قال بهذا ، الزعيم الدينى الكبير السيد عبد الرحمن المهدى عندما سألته مجلة آخر ساعة عن رأيه فى إعطاء المرأة حقوقها السياسية .

أما المعنى الذى يدور فى عقلية الرجعيين فهو بعيد عن الصواب . ثم أنه يناقض ماكان يجرى عليه الأمر فى صدر الاسلام .

فنحن نعلم أن النساء كن يخرجن مع الرجال فى الحروب ، وكن يخرجن إلى المساجد والأسواق ويختلطن بالرجال ويجتمعن معهم لمناقشة الأمور العامة . واجتمعن ذات مرة بالرجال فى مسجد رسول الله

وتناقش الجميع فى أمور جنسية وكان الرسول عليه السلام شاهد المناقشة ومثيرها .

وقصة المرأة التى وقفت تعارض عمر فى مجلس أشبه بالبرلمان معروفة حتى أجبرته على سحب قانون المهور الذى قدمه قائلا كلمة المشورة « أصابت إمرأة وأخطأ عمر » .

فكيف خرجت المرأة من منزلها وباشرت كل هذه المهام فى المجتمع الاسلامى واختلطت بالرجال ، إذا كان معنى الآية هو ما يذهب إليه قطيع الرجعية .

أما القول بعدم تبرج المرأة تبرج الجاهلية الأولى فبى رأيى أنه أنصت على حالة معينة كانت قريبة العهد من العرب عند انتشار الاسلام . فحض على عدم الرجوع إليها لأنها منافية لآداب الدين والأخلاق .

على مفترق الطرق وفى السبل الموحشة التى كان يخترقها حاملو المتاجر والمسافرون ، كان بعض النساء يقدمن أنفسهن للرجال طردا لإلحاح الغريزة الجنسية ، وكن يعتقدن أن فى هذا صدقة لوجه الآلهة وتقرباً إليهم وتعبداً لهم . (١) ولا شك أن هذا تبرج يخالف شريعة الآداب العليا التى تملها الإنسان أثمن مشاعره وأغلى عواطفه المثالية .

ولقد كانت المرأة تتخذ فى الجاهلية من التبرج سنه ، حتى أنها كانت تسمح لعشرة من الرجال أن يرتكبوا معها الفحشاء فاذا حملت فى أحشائها جاءت العرافة بعد ولادتها والحقت الطفل برجل من هؤلاء .

---

(١) راجع كتاب المرأة فى عصر الديمقراطية — اسماعيل مظهر .

هذا هو التبرج الذى حرمه هذا النص ، تبرج الجاهلية الأولى .

ولكن المصيبة التى أصابنا بها أولئك المستغرقين فى النظر إلى الحياة بمنظار الحياة القبلية البدائية ، انهم يعتقدون أن كل تجمل وتأنق تبدو به المرأة هو تبرج وأنه تبرج الجاهلية الأولى .

فاذا إرتدت فستانا جميلا قالوا أنها تتبرج . وإذا ارتدت تايوراً أنيقاً قيل انها تتبرج وإذا مارست الألعاب الرياضية قيل انها تتبرح ... الخ . مع أن تأنق المرأة شىء فرضته عليها الطبيعة .

ولست أدرى إذا لم تتأنق المرأة لترضى طبيعتها وأنوثتها بل وانسانيتها أيضاً ، فمن الذى يتأنق ؟ ! الرجل ؟ !!

قليلا من التفكير أيها الرجعيون !! لا تفروا من حقائق الطبيعة وتدفنوا أنفسكم تحت الأحجار حتى تتعاموا عن ضوء النهار !!!

* * *

وكما سطوا على النصوص القرأنية سطوا أيضاً على الأحاديث وأخرجوها عن معناها بل اختلقوا أحاديث لم تصدر من الرسول لتخدم أغراضهم . أحاديث مصنوعة كتلك التى كان يسمعها إبن عباس رضى الله عنه من بعض الكهنة المعاصرين له فيثور دامغاً إياهم بالكذب والجهل . ويقول :

« كلما لعق أحدهم من الاسلام لعقه . ذهب يقول ، حدثنى رسول الله . . . ووالله ماحدثه رسول الله بشىء ولا هو ممن يفقهون حديثا »

وماهى الأحاديث التى يواجهوننا بها :

(١) حديث « لا يفلح قوم ولوا عليهم امرأة »

يظنون انهم بمواجهتنا بهذا الحديث سوف نلقى سلاحنا ونسلم لهم بـ جاحة العقل وصدق الرأى .

ليسمعوا قصة هذا الحديث ودلالته . إن كان لهم من الأذن ماتسمع ومن القلوب ماتبصر .

هذا الحديث رواه « أبو بكره » وهو نفسه يقص قصته فيقول :

بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الفرس أقاموا — بوران — بنت كسرى ملكة عليهم . فقال هذا الحديث

أما دلالته فيحدثنا « كتاب فيض القدير فى شرح الجامع الصغير » فيقول : —

« قال الطيبى . هذا إخبار بنفى الفلاح عن أهل الفرس . وتنبؤ بأن الفلاح للعرب »

أى أن الحديث مجرد نبوءة من الرسول بإنتصار المسلمين على الفرس فهو إذن لا يعنى حكما شرعيا . لأن الحكم الشرعى يعنى الإقتضاء أو التخيير .

وهو كذلك مجرد خبر مثل قوله تعالى « وهم من بعد غلبهم سيغلبون » كما أنه فى رأيى حافز للمسلمين وتشجيع لهم فى نضالهم مع الفرس .

وللاستاذ خالد محمد خالد فى كتابه الديمقراطية رأى سليم هو :

« أولا : هذا الحديث يمثل وجهة نظر للرسول لايترتب عليها حكم شرعى . يشبه هذا وجهة نظره فى تأبير النخل إذا مر عليه السلام بقوم يؤبرون النخل .

فقال لو تركتموه بغير تأبير لكان خيرا لكم ففعلوا ففسد النخل ولم ينتج ثمراً ، فذهبوا إلى الرسول يسألون فقال لهم — إنما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن . ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئا فخذوه فانى لاأكذب على الله . ثم قال لهم : أنتم أعلم بأمور دنياكم » .

« ثانيا : هذه واقعة حال معينة . وقد يكون الرسول يعلم من أمر بوران بنت كسرى ماجعله يستبعد نجاحها فى حكم قومها . وهذا لايمنع من أن تفلح امرأة أخرى . بدليل أن القرآن عرض قصة ملكة أخرى هى بلقيس عرضا يعبق بمزاياها وعظمة نفسها وعقلها . فهى تقول عن كتاب سليمان عليه السلام . إنى القى إلى بكتاب كريم وتقول لقومها ماكنت قاطعة أمراً حتى تشهدون . وتبدى رجاحة عقلها حين تقول

إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ثم يبلغ القرآن بها قمة المجد والتقدير والرضا حين تهتف : ربى إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين » (١)

---

(١) راجع الديمقراطية — لخالد محمد خالد

ثم إنى أسألكم :

كيف يتفق تفسيركم مع عظمة مصر فى عهد الملكة حتشبسوت ؟ وكيف نجح المصريون بقيادة شجرة الدر فى هزيمة فرنسا وأسر ملكها ؟ لماذا لم يفلح المصريون وقد ولوا عليهم امرأة ؟ ! وكيف فلحت فرنسا عندما أسلمت زمام جيوشها إلى جان دارك وطردت جيوش بريطانيا ؟

لماذا لم تفلح فرنسا وقد ولت عليها فتاة ؟ ! !

وكيف بلغت دول أوروبا وكذلك روسيا وأمريكا قمة المجد والقوة والحضارة ، والمرأة هناك تشترك فى كل كبـــيرة وصغيرة من الأمور السياسية والاجتماعية والعلمية .

لماذا لم تفلح هذه الدول طبقا للحديث المذكور ؟ !

أجيبونا يامن تتمسحون فى هذا الحديث ؟ ! !

إن الواقع المستمد من التاريخ القديم والحديث يؤيد وجهة نظر العقلاء . فى أن الحديث المذكور كان واقعة حال معينة ووجهة نظر للرسول لايترتب عليها حكم شرعى .

وهى قد تخطىء وقد تصيب ، كما أخطأت فى شجرة الدر وجان دارك وكثيرات من النساء التى حكمن بلادهن وارتفعن بها الذروة كماريا تريزا

امبراطورة النمسا ، وكاترين الثانية امبراطورة روسيا . . . الخ وكما أخطأت أيضا فى عدم تأبير النخل ورجع عن رأيه فى هذا الصدد قائلا انما ظننت ظنا فلا تؤاخذونى بالظن . وكما أصابت فى بوران وكليو باطره .

لقد كان الرسول عليه السلام يقول لأصحابه « قولوا فانى فيما لم يوح إلى بمثلكم »

ثم إن معنى هـــذا الحديث عند الرجعيين يتعارض تماما مع معنى الآية الكريمة .

« والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » . ويقول الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا فى تفسير هذه الآية : —

« اثبت الله بهذه الاية الولاية المطلقة للمرأة مع الرجل فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »

وإلى هذا المعنى ذهب الأستاذ الامام محمد عبده .

ونحن نسأل : اليست وظيفة القضاء وعضوية البرلمان والوزارة من الوظائف التى يتوصل بها إلى اقرار المعروف والنهى عن المنكره

٢ — حديث « ناقصات عقل ودين

لاأعتقد مطلقا أن هذا الحديث من الأحاديث الصحيحة والدليل على ذلك مايأتى :

ا) أساس المسئولية فى القانون السماوى وكذلك فى القانون الوضعى هو الادراك والتمييز . ولم يفرق الله بين المرأة والرجل فى المسئولية إذ أن عقابهما على جريمة أومعصية واحد .. فلو أن عقلها أقل فى الادراك والتمييز عن عقله فكيف توحدت المسئولية بينهما فى القانون السماوى والقانون الوضعى ؟ ! !

ب) التاريخ نفسه يعطينا أدلة على أن عقل المرأة لايقل عن عقل الرجل . فالصحابة أخذوا عن عائشة ثلثى الدين ، ومن عقل أم سلمى إنبثق رأيا أنقذ المسلمين من هلاك محقق فى الحديبيه وكان عبد الرحمن بن عوف وهو من الصحابه يقول « والله ماتركت ذا رأى من الرجال ولا صاحبة فضل من النساء الا أخذت رأيه ورأيها . . . وفى التاريخ أيضا نجد كل من سيسيليا جونزاجا « وبولينا سفورزا » « وايزابلادستا » واليزابث جونزاجا أمثلة تحتذى فى الثقافة الواسعة والعبقرية الكاملة .

ومدام كورى العالمة العظيمة ، التى اكتشفت الراديوم ، هل يعرف الرجعيون عنها قليلا أو كثيراً ؟

وغير هؤلاء كثيرات لايتسع المقام لذكرهن .

وفى حياتنا الحديثة نجد أن عقل المرأة لايقل عن عقل الرجل فى شىء إذ أثبتت كفاءتها وقدرتها فى جميع الأعمال التى باشرتها مع الرجال

إذا فرضنا جدلا لااقتناعا — أن الحديث المذكور قاله الرسول فيكون معناه الصحيح ، هو نقصان الخبرة والتجربة والثقافة عند المرأة فاذا توفرت هذه جميعا لديها عن طريق التربية والتعليم والعمل . تساوى عقلها مع عقل الرجل تماماً .

ولعل جمال الدين الأفغانى كان يعنى هذا المعنى عندما قال :

« ليس للرجل رأس وللمرأة نصف رأس ، وليس للرجل عقل وللمرأة نصف عقل ، وانما يأتى الفارق من تقييد المرأة فى البيت »

٣) حديث « النساء خلقن من ضلع أعوج »

إنه حديث مكذوب .. أجل مكذوب ، لايقره عقل سليم ، ولايستقيم مع الواقع ، ويكذبه بل يهدمه العلم الحديث . أما أنه لايستقيم مع الواقع وينكره كل عقل سليم فذلك لأن كل ضلوع الإنسان بها عوج والقول بأن المرأة خلقت من ضلع أعوج يوجب وجود ضلوع مستقيمة وهذا تناقض لايصدر عن الرسول .

أما أنه يكذبه العلم الحديث فذلك لأن نظرية خلق الأنواع خلقاً

مستقلا ، قد أفسحت الطريق لنظرية التطور العضوى . فلم يصبح لها من الوجود ما يصح أن يحتج به لا فى العلم ولا فى غير العلم .

إن هذا الحديث من قبيل مئات الأحاديث المكذوبة المنسوبة إلى الرسول والتى لا يقبل عقل سليم أن يصدق أنها صدرت من الرسول لشدة الفارق بين صغر ما نقل وعظمة المنقول منه .

هل يمكن أن أصدق مثلا أن الرسول عليه السلام قال « من أكل فليلعق أصابعه أو يلعقها غيره » ، أو أصدق أنه قال « إذا أسمكتم فابلعوا » ، أو أصدق هاتيك الثلثمائة حديث التى إستند اليها العلماء فى تحريم الموسيقى ومنها هذا الحديث :

« يمسخ أناس من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير ، قيل يارسول الله اليسوا يشهدون الا اله الا الله وأنك رسول الله؟ قال : بلى ولكنهم اتخذوا المعازف والقينات فباتوا فى لهوهم ولعبهم وأصبحوا وقد مسخوا قرده وخنازير » ! !

ولست أعرف ما إذا كان عبدالوهاب أو السنباطى أو فريد الأطرش أو غيرهم من كبار الموسيقيين قد باتوا وأصبحوا وقد مسخوا قردة وخنازير أم لا ؟

مثل هذه الأحاديث المكذوبة القول بأن النساء مخلوقات من ضلع أعوج ، ينسب هذا إلى الرسول كذبا وهو الذى قال « النساء شقائق الرجال لهن مثل الذى عليهن بالمعروف »

(٤) « لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال . والمتشبهين من الرجال بالنساء » (لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء) « لعن الله الرجل يلبس لبسة المرأة والمرأة تلبس لبسة الرجل » .

هذه الأحاديث معناها واضح لايحتاج إلى بيان وهو أنه يجب على الرجل أن لايتأنث فيقلد المرأة فى مشيتها وكلامها وملبسها وصوتها الخ.. وكذلك لايجب على المرأة أن تسترجل فتتشبه بالرجل فى ملبسه وكلامه وصوته وطبيعته كذكر، لأنها بذلك تفقد أنوثتها المحببة .. وليس معنى هذا أن النساء إذا مارسن حقوقهن السياسية والاجتماعية وتعلمن وتثقفن إلى أبعد الحدود يكن متشبهات بالرجال ! لايقبل عقل هذا لأن الوطن لم يخلق للرجال وحدهم ، وشئونه لاتهم الرجال وحدهم . وقد إشتركت المرأة العربية فى الأمور السياسية والاجتماعية فى صدر الاسلام وعارضت عمر وردته عن قانونه وبايعت الرسول كما بايعه الرجل وقرر لها القرآن الحق فى هذه البيعة كما قرره للرجال

وكلنا يعرف أن عائشة حاربت على رضى الله عنه . وأن نسيبه بنت كعب بن عمر إشتركت فى حروب الرده وباشرت القتال وجرحت .

ولست أعرف بعد هذا ، إن كان الله قد لعن هؤلاء النساء أم لا ؟

ولست أعرف أيضا إن كان الله يلعن النساء اللاتى يهتممن بأمور وطنهن ويساهمن فى بناء مجده سياسيا واجتماعيا وثقافيا أم لا ؟

نترك الجواب على هـــذا السؤال لمن له عقل يعرف كيف يفكر وضمير يعرف كيف يحاسب .

هذا هو موقف الاسلام من حقوق المرأة ، يعطيها هذه الحقوق ولا يضن عليها فى عصر جاء فيه فوجد المرأة متاعا يباع ويشترى .

فاذا جاء الآن رجال الأزهر أو اللجنة المسماة بلجنة الفتوى وقالت إن الدين يمنع المرأة من مباشرة الحقوق السياسية والاجتماعية فهذا رأى لا ألتزم به كمسلم .

هو مجرد رأى لا أكثر ولا أقل وعرضة للخطأ وما أحسبه ويحسبه كل عاقل إلا أنه رأى بعيد عن الصواب بعد الأرض عن السماء .

إن الاسلام نادى أول مانادى عقل الانسان وحثه دائما أن يفكر بعقله ويبحث لا أن ينساق إلى وراء لجنة الفتوى أو غيرها لمجرد أن أعضائها جماعة من رجال الدين خصوصا إذا كان هؤلاء من الرجال الجامدين المتزمتين الذين يرهبون التطور ويقفون حجر عثرة أمام تقدم البلد ونهضته نحو المدنية والرقى .

وقد انقضى الزمن إلى غير رجعه الذى كان فيه رجل الدين يحسب أن كلمته ورأيه قانونا سماوى ، إذا عارضه إنسان إستحق رتب الكفر والزندقة .

نعم لم يصبح لرجال الدين أيا كان مركزهم هذه السلطة التى إستمدوها

من عهود الظلام والجهل وطغيان الحاكمين والتى حولوا بها الاسلام الى كهانة . أو كما قال السيد غلام محمد حاكم الباكستان إلى حكم أوتوقراطى يقوم على الديكتاتورية والاكراه .

هل يعقل مثلا أن أصدق شيخ الأزهر عندما أفتى فى العام الماضى أن إرتداء القبعة حرام . وارتداء البدلة حلال ؟ ! !

هل يعقل مثلا أن أصدق تلك الفتاوى التى كانوا يصنعونها للملك المخلوع ويثبتون بها طغيانه وفساده ؟ ! !

وقس على هذا باقى الفتاوى التى تخرج من جعبتهم على الرأى العام ومنها طبعا الفتوى التى أصدروها بخصوص المرأة .

ننتقل بعد ذلك إلى الذين يحتجون بالتقاليد ! لنقول لهم:

إهدموا تقاليد الغزاه : ـ

إن هذا الركام الهائل من تقاليد الغزاه الذين تعاقبوا فينا . . تعاقب الظلام والظلام لاتعاقب الظلام والنور ؟ هو الذى تتمسك به الرجعية لتضرب حجاباً أسودا كثيفا بين مجتمعنا والتطور .

هذه التقاليد التى قدسوها كأنها قرآن أو أنجيل أو توراة ... هذه التقاليد التى أذلوا المجتمع بها وحالوا بينه وبين تمدنه المشروع .

ولست أفهم أى تقاليد نحرص عليها ونحن نبغى للمجتمع أن يتطور ويرتقى ويتمدن ؟ !

إننا نتحدى الرجعيين أن يدلونا على تقليد إجتماعى واحد يصح أن نبقيه على أساس أنه لا يتعارض مع المدنية والتطور حيث يتجه العالم الآن .

لن يجدوا .

لماذا ؟

لأن التقاليد الصالحة التى لا تتعارض مع التمدن والارتقاء ، هى التى تنحدر من مجتمعات مستنيرة حرة .

ولم يكن مجتمعنا مستنيراً ولا حراً حتى نطمئن على صلاحية تقليد جاءنا منه .

لقد هلك المجتمع المصرى تحت ظلم الاستعمار الرومانى ، ثم الاستعمار العربى ، ثم إستعمار الخليفة الفاطمى ثم إستعمار المماليك ثم إستعمار الخليفة العثمانى وظل المجتمع تحت وطأة الاستعمار الأخير أكثر من خمسمائة سنة ، حتى جاء الاستعمار البريطانى فاستلمه جثة هامدة .

جاء الاستعمار الأخير فوجد المجتمع المصرى قد وصل إلى الحضيض وهو مكبل بأغلال تقاليد همجية بشعة فتركه مكبلا وسط هذه الأغلال والمصفدات حتى تظل بلادنا بعيدة عن التمدن ، فيظل الاستعمار البريطانى ضارباً أطنابه فيها . وهذا شيء طبيعى لأن الاستعمار لا يمكن أن يحيا فى أمة تشعر بأهمية المدنية وحتمية التطور .

أليس عجيباً أن الانجليز كانوا يفرضون على طالبات مدرسة السنية

الابتدائية أن يكن مبرقعات . وعلى مدرس اللغة العربية أن يكون معمماً ؟ ولماذا ؟ ! !

لأن الانجليز كانوا يغيرون على التقاليد المصرية ! ! ! لأن الانجليز كانوا يريدون أن تظل هذه التقاليد ستاراً يحجب أنظار المصريين عن التطلع نحو التمدن والارتقاء ! !

لأن الانجليز كانوا يبغون حفظ الشرف والأخلاق والفضيلة فى المجتمع المصرى ! ! !

أليس لذلك أيها الرجعيون أم لماذا ؟ !

ألا تعلمون أن التقاليد التى تلوذون بها ذات جنسية إستعمارية وأنها أغلبها فاطمية وتركية ؟ !

اسمعوا :

فى القرن السادس عشر أصدر الفاتح التركى السلطان سليمان ابن السلطان سليم فرمانا أعلن فيه تقواه وورعه وكان يتلخص فى أن كل إمرأة تكشف وجهها فى الطريق العام تعاقب بأن يقص شعر رأسها ، وتمتطى حماراً « بالمقلوب » ويطاف بها فى شوارع المدينة بين تصفيق الصبية وصياح المتفرجين .. ! !

ألم أقل لكم أن تقاليدنا وأولها تقليد الانفصال ، جاءنا بها الغزاه

لعلكم فى موجة من الورع والتقوى ظننتم أنه تقليد اسلامى أو مصرى صميم . كلا .. ليس هو بتقليد اسلامى بدليل أن المرأة العربية كانت تختلط بالرجال وتخرج إلى الحروب معهم .

وليس هو بتقليد مصرى صميم ، بل إن الاختلاط هو التقليد المصرى الصميم .. أجل هو التقليد الذى نبع من أرض مصر .. لقد كانت المرأة الفرعونية تشارك الرجل فى الأعمال السياسية وفى وظائف الحكومة ، وكانت تظهر معه فى المجتمعات والحفلات . وكان لها مركزاً سامياً عند أجدادنا حتى بلغت عرش المملكة .

حدث هذا منذ آلاف السنين عندما كان المجتمع المصرى يتمتع بنصيب وافر من التمدن والارتقاء والعظمة بينما كان الغرب مجاهل كمجاهل عقول أسيادنا الرجعيين !!

هذا الاختلاط ظل ساريا فى الريف حيث تشترك المرأة الريفية مع الرجل فى الأعمال وتظهر سافرة فى شوارع القرية ومحالها . بينما ضرب تقليد الانفصال التركى نطاقه على عائلات القرية الكبيرة والمتوسطة .

فإذا رجعنا إلى الاختلاط — وقد رجعنا إلى حد كبير — فانما نرجع إلى صميم عاداتنا وتقاليدنا التى أصبحت الآن من مقتضيات المدنية الحديثة والتطور العالمى .

وهذا القطيع الذى يتشدق بالتقاليد يحتج بصيانة الأخلاق والفضيلة. وهذا ماسنتحدث عنه فى فصل الاختلاط لنبين أن هذه التقاليد لاتحفظ أخلاقا ولا تقيم شرفا.

وإنما الذى أحب أن أذكره هنا أننا كدنا — بما حصلنا عليه من تمدن — أن نهدم تقليد الانفصال التركى، وأصبحت المرأة المصرية الآن بعد أن تحررت - تختلط بالرجل فى الجامعات والنوادى ودور الحكومة والصحافة ... الخ. فمن العبث بعد ذلك أن يحتج بعضنا بالتقاليد لحرمان المرأة من حقوقها السياسية: وإذا كان الرجعيون يأملون فى العودة من جديد حيث كنا فى تأخر وهمجية. فهم فى ذلك واهمون، والتطور لايمكن أن يرجع شبراً إلى الوراء بل يتقدم ويتقدم دائماً مكتسحاً أمامه معاقل الرجعية والجمود. ولو آمن الرجعيون بهذه الحقيقة لأراحوا واستراحوا. ونرجوا أن يؤمنوا.

إنه من العار ... وإنه من المضحك والمبكى معا أن ينطاق نساء العالم التمدن فى مشاركة الرجال فى الحياة العامة ونريد نحن لمصر أن تتخلف بأن نحبس نصفها فى البيوت بل فى أظلم بقعة من البيوت بحجة التقاليد .. وما هذا إلا دليل انحطاطنا وتأخرنا عن موكب الحضارة والتطور.

فألا يكفى هذا؟ ألا يكفى أننا إستعملنا المرأة — بمقتضى التقاليد التركية — فى الشهوة وخصصناها لمزاجنا، متجاهلين إنسانيتها بغير ضمير

ولا تعقل ، وكان هذا من الأسباب التى جعلت المتمدنون يشمئزون منا ويضعوننا تحت الصفر ؟ !!

ياقوم فكروا قليلا ... بل فكروا كثيراً فليس مما يشرف مصر أن تتمسكوا بتقاليد ثبت أنها من الغزاه الفاتحين .

ياقوم افهموا جيداً : أن مهمة المرأة المصرية فى عالم التطور والتمدن لم تعد هى الطبخ ولا الكنس ولا التجمل آخر الليل ليقضى معها الزوج مايريد . وإنما مهمتها الآن أن تثقف وترقى عقلها وتكتسب بالاختلاط شخصية كشخصية المرأة فى أوربا وأمريكا وروسيا والهند ، وتعد نفسها لأن تكون نائبه فى البرلمان ووزيره فى حكوماتنا المتمدنة القادمة .

لماذا يجب اعطاء المرأة الحقوق السياسية ؟

أولا : لأنها إنسان لها مثل ماللإنسان من حقوق ، وعليها ماعليه من واجبات .

ولا يقتضى العدل أن نفرق بين إنسان وإنسان فى الحقوق والواجبات مادام يتساويان فى الأهلية التى تمكنهما من مباشرة هذه الحقوق والقيام بهذه الواجبات .

ثانياً : أنها مواطن يتكون منها نصف الأمة بل أكثر من نصف الأمة ولا يحق أن نحرم فرداً واحداً من حقوقه السياسية اللهم إلا إذا كان مجرما .

وفى مصر يحرم على من إرتكب جريمة مخلة بالشرف من مباشرة حقوقه السياسية . فإذا حرمنا المرأة من هذه الحقوق فكأننا ننزلها منزلة المجرمين . أى أننا حتى لانساويها بالرجل الجاهل الأمى بل ننزلها إلى مرتبة أدنى هى مرتبة اللصوص والقتلة بحرماتها من الحقوق السياسية .

فأى أمة فى العالم تشعر بكرامتها وتمدنها تقبل هذا الوضع ؟!

ثالثاً : لأجل عبث الرجل بمصالح المرأة واهداره حقوقها ، نريد أن تدخل البرلمان لتدافع عن نفسها وترفع الاصر عنها وتحطم حواجز التقاليد التى تفصل بين جنسى الأمة .

إن الرجل عبث بالمرأة حتى فى القانون .

وخذ مثلا قانون العقوبات المصرى الذى وضعه الرجل بمفرده .

هذا القانون يبيح خيانة الرجل بشرط واحد فقط هو أن يزنى بعيداً ... بعيداً من منزل الزوجية ... يذهب ويزنى كيفما شاء وفى أى موضع يراه مادام هذا الزنا لايرتكب فى منزل الزوجية .

ولماذا يزنى فى منزل الزوجية ؟ ... أليس أرض الله واسعة ؟!!

ولكن هذا القانون يضيق الخناق على الزوجة سواء زنت فى منزل الزوجية أو خارجه .

المادة (٢٧٤) تقول

— المرأة المتزوجة التى ثبت زناها يحكم عليها بالحبس مدة لاتزيد عن سنتين .

والمادة (٢٧٧) من هذا القانون تقول .

— كل زوج زنى فى منزل الزوجية يجازى بالحبس مدة لاتزيد عن ستة أشهر !

الله أكبر .. لهذه التفرقة الصارخة ؟.. لم هذا التحيز الظاهر للرجل ؟!

الزوج الفاسد ليس له عقوبه إذا زنى خارج منزل الزوجية !

والزوجة الفاسدة لها عقوبة قدرها سنتين إذا زنت فى منزل الزوجية أو خارجه !

والفاسد الساقط من الرجال الذى يبلغ به حد الاستهتار والفجور إلى أن يزنى فى منزل زوجته له عقاب لايزيد عن ستة أشهر !!

ماذا يفترق الزوج الفاسد عن الزوجة الفاسدة ؟ ما الفرق بين زنا الزوج وزنا الزوجة حتى يفرق القانون بينما هذه التفرقة الصارخة ؟!!

أنى أقسم بأنه لوكانت هناك إمرأة تشترك فى وضعه لصاحت صارخة بأعلى صوتها .

لم هذا التحيز ؟.. لم هذا التعصب ؟ إنى أقبل أن تكون عقوبة الزوجة الزانية السجن المؤبد على شرط أن يتساوى الزوج الزانى فى العقوبة أيضاً سواء زنى فى منزل الزوجة أو خارجه .

ومن الغريب أن القانون أباح للزوجة الزانية أن تدفع بسابقة زنا

الزوج — إن كان قد زنى — فتوقف الدعوى المرفوعة عليها . وما تبرير القانون فى هذا الدفع ؟ أن الزوج هو القدوة للعائلة ومثلها الأعلى (١) !

أرأيتم التناقض الظاهر ؟

القانون يعتبره القدوة للعائلة ومع ذلك يسمح له بالزنا على شرط أن يكون خارج منزل الزوجية وبشرط أن لا يزنى فى زوجة أحد وإلا اعتبر شريكا ! ! وفى نفس الوقت يمسك بتلابيب الزوجة ويزجها فى السجن سنتين كاملتين لأنها ارتكبت نفس الجريمة التى ارتكبها من اعتبره القانون قدوة لها ! !

من الذى شرع هذا القانون ؟ أليس الرجل وحده فتعصب لنفسه وتحيز لها ؟

فلتوحد الدولة العقوبة بين الاثنين وإلا فهى تضرب بالعدل عرض الحائط .

وهناك مظهر آخر لاهدار حقوق المرأة والتعصب ضدها عن طريق القضاء الشرعى :

خذ هذا المثال :

حكم أحد القضاة الشرعيين بضم سيدة مثقفة ، ناظرة مدرسة وهى

---

(١) راجع قانون الاجراءات الجنائية — الاستاذ الدكتور محمود مصطفى أستاذ القانون الجنائى بكلية الحقوق بجامعة الاسكندرية .

تبلغ من العمر ٣٥ سنة إلى أخيها البالغ من العمر ١٦ سنـــة لأن الله يقول : الرجال قوامون على النساء :

وكم تمنيت من الله أن يعطيني عقل هذا القاضي لحظة لأقتنع بأن صبي مازال يتبول على عقبيه يستطيع أن يكون قيما على ناظرة مدرسة تربي جيلا من المواطنات وتبلغ من العمر ٣٥ سنة ! !

ألسنا إذن على حق عندما نطالب بحقوق المرأة والسماح لها بدخول البرلمان لتدافع عن نفسها وترد الظلم عنها ؟

رابعاً : نحن حريصون على ذلك لتصل مصر إلى ماوصلت إليـــه أوربا وأمريكا من رقي وتمدن :

نحن حريصون على ذلك لكي نكون مثل كل أمة عرفت أنه لاسبيل إلى تمدنها وارتقائها إلا إذا حررت نصفها الآخر وأفسحت له مكانا ليشارك في بناء الدولة .

نحن حريصون على ذلك لتنقطع الألسنة التي تصور نساءنا ، في أوربا وأمريكا بصورة المواشي والعبيد ، ولنحفظ سمعتنا ونجعل العالم ينظر إلينا باحترام وتقدير .

نحن نريد أن نسير مع التطور ، هذا التطور الذي زحف إلى كل بلاد العالم وسوى بين نسائها ورجالها في كل شيء . ولم يبق إلا خمسة

دول لاتقع العين عليها فى زحام الدول المتمدنة . ونحن ـ كوطنيين ـ لانريد أن تكون مصر من هذه الدول التعسة التائهة .

خامساً : إننا نريد بإعطاء المرأة المصرية حقوقها السياسية أن يكون لنا برلمان صحيح يمثل الأمة تمثيلا صحيحاً ، لا برلمان مزيف يمثل نصف الأمة . بل أقل من نصف الأمة .

إن الاحصاءات الرسمية تدل على أن عدد النســـاء أكثر من عدد الرجال . ومع ذلك فجميع البرلمانات الماضية لم تكن تمثل إلا أقل من من نصف الأمة . أى كانت الأقلية هى التى تتحكم فى الأغلبية من النساء فلا تعترف لها بحق ولا تسمح لها أن تطالب بحرية .

وشيء من إثنين .

إما أن تلغى الدولة الحياة النيابية نهائياً . وإما أن يكون لها برلمان صحيح يمثل الأمة تمثيلا صحيحا .

وهنا قد يقال لنا ـ كما قيل فى لجنة الدستور ـ أن المرأة إذا أعطيت حق الانتخاب مثلا فسيكون صوتها صورة طبق الأصل من صوت زوجها .

وهذا القول مصادرة على المطلوب وافتراض النتيجة قبل تحقق السبب .

ولنفرض ـ جدلا ـ أنها ستنتخب من يختاره زوجها . فهل يمنع هذا من أن تعطى حقها المشروع كمواطن يتكون منها نصف البلد بل أكثر . وكانسان أيضا ؟ !

هل يصح أن نمنع عنها حقا مشروعا بدعوى أن رأيها مثل رأى زوجها ؟

ولقد لاحظنا فى الانتخابات الماضية أن الأبناء ينتخبون من يختاره الأب . وخصوصا فى الريف . ولذلك كان يكفى المرشح أن يضمن تأييد رب الأسرة له ، ليجد بعد هذا جميع الأبناء فى صفه . وستكون هذه الظاهرة أيضا فى الانتخابات القادمة . فهل يحق للدوله ـ إذن ـ أن تسلب الأبناء حقهم الانتخابى بحجة أن صوتهم صورة طبق الأصل من صوت أبيهم ؟

هل يصح أن تتخذ الدولة هذا سببا لحرمان الابن من حق الانتخاب كانسان وكمواطن ؟ !

وإذا كان هذا لا يصح بالنسبة للابن فلماذا تتخذ من هذا السبب ذاته حجة لحرمان المرأة من حق الانتخاب ؟

وهل منعت الدول التى أعطت للمرأة حق الانتخاب هذا الحق عنها بحجة أن صوتها سيكون صورة من صوت زوجها أو أبيها أو أخيها ؟ أم إعتبرتها مواطن وإنسان فوق كل شيء وأعطتها هذا الحق ؟

بأية عقلية يفكر هؤلاء ؟

ومن المدهش أنهم لا يكتفون بهذه الحجة المردودة بل يسوقون حجة أخرى مفضوحة هى أن نساء مصر جاهلات لا يصلحن لمباشرة أى حق سياسى

يا عجباً !

الا ليتهم علموا بما قاله الانجيل على لسان السيد المسيح :

« لماذا تنظر القذى الذى فى عين أخيك ، وأما الخشبة التى فى عينيك فلا تفطن لها . أو كيف تقدر أن تقول لأخيك يا أخى دعنى أخرج القذى الذى فى عينيك . وأنت لا تنظر الخشبة التى فى عينيك .

يامرائى ، أخرج أولا الخشبة من عينيك وحينئذ تبصر جيدا أن تخرج القذى الذى فى عين أخيك » .

وهذا بالضبط ما نريد أن نقوله للرجعيين الذين يحتجون بجهل نساء مصر . نريد أن نقول لهم أخرجوا الخشبة التى فى أعينكم لتروا جيدا أن الجهل الذى ترمون به النساء متوفر أيضا فيكم .

وإن المنطق الذى تواجهنا به المرأة — فى هذا الصدد منطقا سليما عندما تصيح فى وجوهنا قائلة . ولماذا لا تحتجون أيضا بجهل الرجال فى مصر .

ويصل هذا المنطق السليم إلى ذروته عندما تقول : كيف تعطون الرجل الجاهل حقوقه السياسية وتأتون بألواح من الخشب لا يعرف كل

لوح منها من الحروف الأبجدية الا الف باء كهذا اللوح الذى أنتخب عضوا فى البرلمان فطعن ضده بأنه لا يعرف القراءة والكتابة فجاء بلجنة تمتحنه وأعطته كتابا من كتب رياض الأطفال ليقرأه فلما أبصر صورة ثعبان صاح قائلا « حنش » وهكذا أدى الامتحان على خير وجه واعطته اللجنة شهادة النجاح !!

كيف تسمحون لهذه القطعة الخشبية وأمثالها بعضوية البرلمان وتمنعون السيدات المتعلمات وخصوصا من يحملن أرقى الدرجات العلمية من جامعات مصر وأوربا وأمريكا !؟

حقا أنها مأساة ليس لها نظير فى أمة تحترم نفسها

انها مهزلة أيضا فى أمة تريد أن تعيش فى صلب الحياة لا على هامش الحياة . ولكنها ليست بمهزلة ولا بمأساة فى أمة مازالت تجهل فى أى عصر تعيش .

سادساً . مصر وقعت على ميثاق حقوق الانسان بهيئة الأمم المتحدة الذى اعترف بالمساواة التامة بين المرأة والرجل . ومادام الأمر كذلك فيجب أن نسارع بتنفيذ التزام التزمت به دوليا . لكى تحفظ سمعتها وكرامتها إذ لايشرف مصر دوليا أن تلتزم بميثاق دولى ثم لاتنفذ ماأوصى به !!

لقد شعر الأستاذ الدكتور محمود عزمى مندوب مصر فى اللجنة

الاجتماعية والثقافية لهيئة الأمم المتحدة - بالحرج الشديد عندما إجتمعت اللجنة المذكورة لتناقش حقوق المرأة السياسية المدرجة فى جدول الأعمال واستعرضت أسماء الدول الأعضاء المتخلفة عن تقرير حقوق نسائها رغم تصديقها على ميثاق حقوق الانسان ومن هذه الدول التى تليت إسمها مصر

وبالرغم من أن الدكتور محمود عزمى وقف يدفع إتهام مصر بعدم تنفيذها للميثاق ، ذاكرا المبادين التى فتحت أبوابها فى مصر لاشتراك المرأة فيها ، إلا أنه لم يتمكن بالطبع من تفسير حرمان المرأة المصرية حتى اليوم من مزاولة حقوقها السياسية . وانتهت اللجنة إلى قرار بتوصية الدول الأعضاء التى لم تمنح المرأة هذه الحقوق بالاسراع فى إقرارها .

وقد كنت أعتقد أن هذا القرار الدولى خاتمة الصراع الدائر حول حقوق المرأة السياسية عندنا ولكننى دهشت عندما قررت لجنة الأوضاع الإنتخابية التابعة للجنة الدستور منح المرأة حق الانتخاب على شرط معرفتها القراءة والكتابة ، ولست أدرى : ماالفرق بين الرجل الأمى والمرأة الأمية ؟ !وقبل ذلك إجتمعت لجنة الحريات التابعة للجنة الدستور أيضا وقررت منح المرأة حقوقها السياسية ومساواتها بالرجل ولكنها وضعت قيدا هو أنها تركت حرية تنظيم هذه الحقوق للشرع !!! وكان الأوفق أن تمنح لجنة الدستور الحقوق السياسية للمرأة دون قيد ولا شرط ، كما فعل الدستور السورى الجديد وتنفيذا لميثاق حقوق الإنسان

وللقرار الدولى الذى أصدرته اللجنة الاجتماعية والثقافيه التابعة لهيئة الأمم المتحدة .

ولكن مادامت لجنة الدستور قد ارتضت هذا الوضع الذى يجافى الحق والعدل ، والذى يخل بالتزام مصر دوليا ، فان المرأة ستواصل الكفاح ومعها أنصارها من الرجال التقدميين الأحرار وستصل إلى النصر لامحاله .

حق المرأة فى وظائف الدوله :

ننتقل الآن إلى الكلام عن حق المرأة فى وظائف الدولة .

١ — القضاء

أفتى المرحوم الأستاذ الشيخ المراغى شيخ الجامع الأزهر ، بجواز تولية المرأة مناصب القضاء .

وفى ص ٣٨٠ من الجزء الحادى عشر من المغنى : —

« قال ابن جرير : لايشترط الذكورة فى القضاء ، لأن المرأة يجوز لها أن تكون قاضية » .

وابن جرير هذا صاحب التفسير الذى لم يأت مثله حتى الآن .

وحماد شيخ أبى حنيفة وأستاذه . وعطاء الذى قال عنه ابن عباس

لاتسألونى مادام فيكم عطاء . يجيزان شهادة المرأة فى الحدود ومن ثم يجيزان توليتها القضاء حتى فى الحدود .

وكذلك أجاز أبو حنيفة توليـة المرأة مناصب القضاء .

ولم يجز هؤلاء الفقهاء تولية المرأة مناصب القضاء فحسب بل أجازوا أيضا أن تكون مفتية أى مشرعة .

والمرأة الآن فى الدول المتمدنة التى ساوتها بالرجل تعتلى منصة القضاء وتقوم بهذه الوظيفة بكفاءة لاتقل عن كفاءة الرجل .

أما فى مصر فالوضع متناقض إذ سمحت لها الدولة بأن تدافع عن حقوق الأفراد وفى نفس الوقت منعتها من أن تحكم بين الأفراد لترد لكل ذى حق حقه !!

وكالة النائب العام : —

فى ص ٢٠٢ من الجزء الخامس لكتاب المغنى لابن قدامه .

« كل من صح تصرفه فى شىء بنفسه وكان هذا الشىء مما تدخله النيابة صح أن يوكل فيه غيره وأن يكون وكيلا فيه عن غيره رجلا كان أو امرأة »

ومعنى هذا أنه إذا كان يجوز للمرأة أن تمتلك وأن تتصرف فيما تمتلكه بالبيع والرهن والاجارة . . . الخ فانه يجوز لها بالتالى أن تكون وكيلا عن غيرها فى هذه التصرفات كما يجوز لها أن توكل غيرها .

وكذلك إذا جاز للمرأة أن تخاصم غيرها أمام القضاء وترفع الدعوى باسمها فانه يجوز لها أن تكون وكيلا عن غيرها فى رفع الدعوى وهذا الغير قد يكون المجتمع . ورفع الدعوى بالنيابة عن المجتمع هو عمل وكيل النائب العام .

وهنا قد يقول البعض بأن هذه الوظيفة شاقة وفيها إجهاد مضنى للمرأة وقد يقال أيضا أن فيها حرج عليها من حيث تضطرها إلى التعرض لمسائل خلقية لتحقيقها .

أما أن هذه الوظيفة شاقة على المرأة فهذا غير صحيح فهى لن تكون أشق من الاشتغال فى الحقل الذى تقوم به المرأة الريفية منذ الصباح حتى غروب الشمس . ومع ذلك فللمرأة الريفية القدرة على تحمل هذه المشاق .

أما أن هذه الوظيفة فيها حرج على المرأة من حيث تضطرها إلى التعرض لمسائل خلقية لتحقيقها ، فنحن نقول أنه مادام هذا واجب فلا حياء فيه . كما أنه لا حياء فى الدين

لقد ذهبت امرأة إلى الرسول عليه السلام تسأله .
كيف أغتسل من المحيض ؟

راجع كتاب الديمقراطية — فى حق المرأة فى وظيفة وكالة النائب العام — لخالد محمد خالد

فأجابها الرسول خذى ماءك وسدرك ، وصبى على رأسك ، ودلكيه حتى تبلغى منابته ثم صبى عليه الماء ثم خذى فرصة ممسكة فتطهرى بها

فتسأله المرأة — وكيف أتطهر بها !

فيحرج الرسول ولا تحرج المرأة ؛ ثم يقول وهو يضحك .

— سبحان الله تطهرى بها .

ثم تتدخل عائشة فى الموضوع وتسر فى أذن المرأة قائلة :

تتبعى بها أثر الدم (١)

ودعونا نسألكم ، لماذا نتعاظم سؤال المرأة للرجل فى قضية خلقية ولا نتعاظم سؤال الرجل للمرأة فى مثل هذه المناسبة .

حق المرأة فى الالتحاق بالجيش

ذكرنا سابقا أن نسيبه بنت كعب بن عمرو إشتركت فى حروب الردة فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه وباشرت القتال بنفسها حتى قتل مسيلمه الكذاب وعادت من المعارك وبها عشر جراحات ؛

وكذلك إشتركت المرأة العربية فى موقعة اليرموك وباشرت القتال أيضا مع الرجال.

وقد روى البخارى وأحمد عن الربيع بنت معوذ قالت :

---

(١) المرجع السابق وكذلك الشيخ محمد رشيد رضا كتاب حقوق النساء فى الاسلام

« كنا نغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم : نسقى القوم ونخدمهم ونرد القتلى والجرحى إلى المدينة » .

وروى مسلم وأحمد بن ماجة عن أم عطية الأنصارية قالت :

« غزوت مع رسول الله سبع غزوات »

وقد ورد فى خبر الرميضاء زوج أبى طلحة فى صحيح مسلم أنها أتخذت خنجراً يوم حنين فلما سألها زوجها عنه قالت : —

« إتخذته ، إن دنا منى أحد من المشركين بقرت بطنه » . فلما سمع زوجها منها هذا ذكره للرسول عليه السلام فقال لها الرسول :

« يا أم سليم إن الله عزوجل قد كفى وأحسن » ولم ينكر الرسول عليها شيئاً مما فعلت »

وفى عصرنا الحديث تتجه كل الدول المتمدنة إلى إدخال المرأة فى الجيش . ومنها أمم إسلامية كالباكستان وأندونيسيا .

وفى هذا يشهد رجل عسكرى عظيم هو « القائمقام محرم عثمان » مدير مدرسة المشاة إذ يقول فى جريدة الجمهورية الصادرة بتاريخ ١٢ ديسمبر سنة ١٩٥٣ ما يأتى تحت عنوان « المصرية فى الجيش »

« لم يبق فى العالم أمة من الأمم التى شاركت فى الحرب العالمية الأخيرة مشاركة ايجابية لم تستخدم المرأة فى جيشها .

أما الدول التى لم تعترف حتى اليوم بحاجتها إلى إستخدام المرأة فى

الجيش فهى تلك الدول التى لم تمارس الحرب فعلا . ولم تفقد من رجالها عشرات الآلاف . ومصر واحدة من هذه الدول . . تسد حاجة جيشها من الرجال فى زمن السلم ، ولكنها لاتحاول التطلع إلى الصعوبة المنتظرة فى زمن الحرب . حينما يفنى من الرجال آلاف تلو الآلاف ، ولايمكن تعويضهم إلا باستخدام النساء ... ويحاول فريق من الناس أن يجعل من أنوثة المرأة سبباً يمنعها من المساهمة فى دفع ضريبة الدم ، ونحن نرى أن أنوثة المرأة إن تكن لاتتفق مع أهوال الحرب وقسوتها ، فإنها لاتتعارض مع قيامها بكثير من أعمال الجيوش التى تتفق مع طبيعتها . فهى تستطيع بكثير من الحـــذق وبقليل من المخاطرة أن تقوم بإمداد المحاربين بالطعام والشراب والمعدات والملبوسات ، كما تستطيع أن تؤدى الأعمال الكتابية فى القواعد الخلفية وخطوط المواصلات ومكاتب الإشارات والأرصاد الجوية بالإضافة إلى أعمال التمريض وبذلك نستطيع أن ندفع إلى ميدان القتال فى الخطوط الامامية بالرجال جميعاً ، فلا يتخلف منهم أحد للقيام بأعمال . النساء أقدر منهم على أدائها .

ويحاول فريق من الناس أن يوهمنا بأن مسئولية المرأة كزوجة وأم تمنعها من الإشتراك فى الحروب . ونسوا أنه ليس كل إمرأة فى مصر زوجة أو أما . فعلى كل امرأة أو فتاة لاتعول أسرة أن تأخذ نصيبها فى الدفاع عن الوطن . أما هذه التى تعول أسرة فلتبق إلى جانب أسرتها لترعاها وتحميها مما لابد أن تتعرض له من أخطار فى أرض الوطن

بسبب الغارات الجوية التى لا مناص من الاصطلاء بنارها .

وهى فى هذه الحالة أيضاً فى حاجة إلى أن تتدرب عسكريا حتى يمكنها أن تساهم فى إعداد المخابىء والوقاية من الغارات فإن الحرب اليوم لم تعد فى ميدان بعينه ، إنها تكون فى الماء كما تكون فى الهواء ، وفى الأرض المأهولة كما تكون فى الصحراء ، إنها لاترحم كوخا ولاقصراً ، ولا تفرق بين الرجال والنساء والأطفال .

ويخشى من تجنيد المرأة هؤلاء المتباكون على التقاليد الاجتماعية والأخلاقية الذين يدعون أن إرتباط المرأة بالجيش معناه إنقطاع الصلة بينها وبين طهارة الذيل وعفة النفس ، ونسوا أن المرأة المصرية تعمل الان إلى جانب الرجل فى الحقل وفى المصنع وفى المدرسة وفى المحكمة وفى المتجر ، ولم نمنعها من ذلك حفظا للتقاليد والأخلاق .

إن علينا أن ننظر فى أمر تجنيد المرأة بعين الواقع لا الخيال ، وأن نجابه المستقبل الذى ينتظرنا على أساس من تجاريب غيرنا من الأمم . وسوف نرى حينئذ ألا مفر من تجنيدها سواء أسرها ذلك أم أغضبها » .

حق المرأة فى تولية الوزارة :

أعتقد أن فى مصر سيدات يحملن أرقى المؤهلات العلمية يصلحن لمناصب الوزارة بدلا من هؤلاء الأخشاب الذين دفعتهم الحزبية إلى كراسى الحكم .

وليس هناك حائل من الدين يمنع المرأة من تولية المرأة الوزارة . وإن كان حديث :

« لايفلح قوم ولو عليهم إمرأة » . فقـــد تعرضنا له وبينا قصته ودلالته وخرجنا من ذلك بأنه لاينهض حكما شرعياً .

وأندونيسيا الدولة الاسلامية التى تغار على دينها أكثر من الذين يتباكون على الدين عندنا ، لم تر حرجا أو مانعا من الدين فى أن تسند منصب وزارة الشئون الاجتماعية إلى إمرأة .

وفى القرآن (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

وإذا كان الأمر كذلك ، فأليست وظيفة الوزارة مما يستطيع من يتولاها أن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر .

وإذا سألنا الرجعيون : لماذا إذن لم يعهد الرسول ببعض المناصب الوزارية للمرأة .

نجيبهم سائلين . ولماذا لم يدخل الرسول السيارة والراديو والتلفزيون فى جزيرة العرب أو يتخذ له مفوضية فى لندن أو القاهرة .

الجولة الأخيرة :-

إن المعركة التى دارت - وما زالت تدور - بين التقدمية والرجعية بدأ باطلاق قذيفتها الأولى المرحوم قاسم أمين .

ظهر فى عهد كانت المرأة فيه محجبة . أسيرة ، فرض عليها الجهل والخرافات والأساطير فرضا .

فالرجال كانوا يأنفون أن تخرج البنت إلى المدرسة ، وإن رغبوا فى تعليمها عهدوا إلى شيخ من الشيوخ الذين يتلون القرآن فى البيوت ليعلمها . وكان هؤلاء الشيوخ يختارون فى سن الكهولة أو الشيخوخة ولا يعرفون من شئون الدنيا شيء إلا فك الخط وصم القرآن .

أما معلوماتهم العامة فلا تتعدى لفيفاً من الخرافات والأساطير ، فكانت البنت وهى فى عنفوان أنوثتها واستعدادها لتقبل الحياة باسمة ، تنشأ غارقة فى الخرافات والخزعبلات . وإن ذلك لمن أعظم ما ينتهى بالحياة إلى العقد النفسية التى يصعب على الانسان مهما قويت إرادته أن يتخلص من آثارها . فما بالك إذا نشأت فى نفسية بنت ضعيفة لا تعرف من الحياة إلا أبواب القصر المغلقة والخصيان والجوارى السود من متوحشات أهل الجنوب الأقصى والحبشة والكونغو .. والشيخ المخرف الذى كان الناس يعتقدون أنه وسيلتهم إلى الله تعالى ! !

هذا هو الوضع الذى ثار عليه قاسم أمين مطالبا بزوالة وهدمه ، وتحرير المرأة وتعليمها ونزع القبر الأسود عنها ، وضمن آراءه التقدمية فى كتاب سماه (تحرير المرأة) .. ولكن ما أن صدر الكتاب ، حتى نادت

الرجعية بعضها بعضا .. وخرجت كلابها النابحة من الأوكار تسعى . لتعض هذا الكتاب ولتنبح فى وجه صاحبه بالكفر والإلحاد والإباحية . ولم تتورع بعض الكلاب التى ارتفعت أخلاقها ارتفاعا عظيما حتى وصلت إلى الأرض السابعة من أن تذهب إلى منزله لتتمتع برؤية السيدة حرمه .

كانت هذه هى الجولة الأولى بين التقدمية والرجعية أو قل بين التقدمية والهمجية ...

ترى لمن كتب النصر ؟ .. كتب للتقدمية عندما تقدمت سيدة حرة كريمة هى هدى شعراوى وإنتزعت النقاب وألقته بعيداً وسرعان ما إستجاب لها كرام السيدات والفتيات ، فكان ذلك هدما لأقوى معاقل الرجعية والإجرام فى مصر .

ولكن الرجعية تأبى أن تسلم بالهزيمة وتكافح إلى آخر لحظة لتظل تنفث سمومها وخز عبلاتها فى أوساط السذج من الجماهير ... فعندما تقدمت الفتاة المصرية تطالب بحقها فى الإلتحاق بالجامعة لتتلقى العلم كما يتلقاه الرجال ، بدأت الرجعية ترفع رأسها من جديد مستجيرة بالدين تارة . وبالأخلاق تارة أخرى .. ومرة أخرى تصاب بالخيبة والهزيمة ، وتنطلق كل صباح تلك الرءوس المرتفعة ، تشق شوارع القاهرة والاسكندرية وباقى المدن المصرية بل والريف المصرى أيضا . رءوس

فتيات مصر وكأنها أنوار ساطعة تلتقى وهى فى طريقها إلى دور العلم والجامعات بذكرى أولئك العظام الخالدين . قاسم أمين . محمد عبده . سعد زغلول . هدى شعراوى . أولئك الذين هدموا الرجعية وأقاموا فوق كثبانها بعثا للمرأة المصرية بعد طول رقاد .

وكذلك عندما ظهرت أول دفعة من المحاميات والطبيبات والمعلمات والصحفيات ، تدق أجراس الدنيا ويصل صداها فى الآفاق ، تنبه شعوب العالم المتمدن أن أنظروا لقد تحررت نساء مصر وهدمن معاقل الرجعية والجمود ، ولم يعدن خدم أو متع للرجال .

ووقفت المرأة المصرية معكم على قدم المساواة . عندما حدث هذا خرجت الرجعية تجر وراءها كهنتها ، باكية نادبة على التقاليد ومذرفة دموع التماسيح على الفضيلة والأخلاق .

ولكن أكان التطور من الحق بأن يتقهقر خوفا من هؤلاء ؟ كلا . بل مضى يدفع المرأة المصرية إلى المزيد من الرقى ويدفع الأمة أيضا إلى المدنية والحضارة والارتقاء .

ومن المؤسف والمبكى معا أن يشترك بعض الوزراء والكبراء — الذين كانوا من حكام هذه البلاد التعسة — فى الطابور الرجعى يناصرونه ويشدون أزره . فما زلت أذكر أن وزيراً يدعى أحمد مرسى بدر انتهز

فرصة وجوده على رأس وزارة المعارف ، فأصدر قراراً رجعياً بحرمان الفتاة المصرية من السفر إلى الخارج فى بعثات علمية ، معتدياً بذلك على حرية الانسان فى أن يتعلم إلى أبعد حدود التعليم .

ولست أدرى لماذا لاتخرج من بين فتياتنا أمثال مدام كورى ، ومدام دى شتاميل ، وفيجايا لاكشمى وغيرهن ؟

وهل إذا شاءت فتاتنا أن تكون مثل هؤلاء السيدات ، ثم ذهبت تلتمس وسائل ذلك عند قمم الثقافة والعلم فى الخارج ، نمنعها نحن من هذا الحق ونهزأ بطموحها المتسلق الجرىء ؟

هكذا أرادت عقلية وزير معارف مسئول أن تصنع .. ومتى ؟ فى منتصف القرن العشرين .. فى عصر يقوم كله على العلم والثقافة .

وبعد .

ماذا إستفادت الرجعية بوزرائها وكهانتها من محاولتها الوقوف أمام المرأة ؟

هل استطاعت أن تمنعها من نزع الحجاب ؟ هل نجحت فى حرمانها من الالتحاق بالجامعات والسفر فى بعثات علمية إلى الخارج ؟ هل أفلحت فى منعها من الاشتغال بالطب والمحاماة والصحافة ووظائف الدولة ؟ بل

هل استطاعت أن تمنعها من الإلتحاق بالحرس الوطنى والتدريب العسكرى ؟ كلا .

هذه هى الحقيقة التى نهديها اليوم لسدنة الرجعية والكهانة علهم يؤمنون بها وهم يحاولون الآن أن يقفـــوا بين المرأة وبين حقوقها السياسية . وأن يتركوا التطور يأخذ مجراه الطبيعى بدلا من أن يجبروه على الدخول معهم فى جولة جديدة من الصراع ستكون هى الجولة الأخيرة ، وفيها سيلقون حتفهم لامحالة .

الأسرة والزواج

الدساتير الحديثة والاسرة

الأسرة هى البيئة الطبيعية التى يخلق فيها الانسان ويربى إلى أن ينمو ويترعرع فيشق طريقه فى الحياة . هى إذن الخلية الأساسية فى كيان المجتمعات الانسانية .

ولقد أصبح من أهم أهداف الأمم المتمدنة — فى العصر الحديث العناية بالأسرة ، وحل مشاكلها وتحقيق مايلزمها من ثبات واستقرار والعمل على رفع مستواها الاجتماعى والمعيشى .

ولقد بلغ من اهتمام الأمم المتمدنة بالأسرة الزوجية أن نصت فى دساتيرها نصوصا تنظم الأسرة وتحل مشاكلها ونذكر على سبيل المثال

الدستور الايطالى حيث نص فى م ٢٩ على مايأتى :

« تعترف الجمهورية بحقوق الأسرة وهى شركة طبيعية تقوم على أساس الزواج .

ويقوم الزواج على أساس المساواة الأدبية والقانونية بين الزوجين فى الحدود التى يعينها القانون لضمان وحدة الأسرة » .

وجاء فى م ٣٠ « على الوالدين واجب وهو كفالة وتعليم وتربية أولادهم حتى إذا ولدوا خارج الزواج .

وفى حالة عدم كفاءة الوالدين يكفل القانون القيام بهذه الواجبات

وجاء فى م٣١ « تشجع الجمهورية بإجراءات اقتصادية وغيرها تكوين الأسر والقيام بما عليها من واجبات مع مراعاة حالة الأسر الكبيرة بوجه خاص

وتحمى الأمومة والطفولة والشباب بتشجيع الهيئات المختصة فى هذا الشأن » . . .

وفى الدستور اليابانى ، نصت م ٢٤ على أنه :

« لايقوم الزواج إلا على أساس رضا الطرفين ويظل قائما عن طريق التعاون المتبادل على أساس المساواة فى الحقوق بين الزوج والزوجة .

وينظم القانون مسائل اختيار الزوج ، وحقوق الملكية ، والميراث واختيار المسكن والطلاق ، وجميع المسائل الأخرى المتعلقة بالزواج والعائلة على أساس الكرامة الفردية » .

وفى دستور المانيا الغربية نصت م ٦ على مايأتى : —

١ — الزواج والأسرة موضوعان تحت حماية الدولة .

٢ — تربية الأولاد حق طبيعى للوالدين وواجب عليهما . وتسهر الجماعة فى الدولة على طريقة اضطلاعهم بهذه المهمة .

٣ — لايجوز فصل الأولاد عن أسرتهم ضد إرادة الذين لهم حق

التربية الا بقانون فى حالة تخلى هؤلاء أو عندما يكون الأولاد لأسباب أخرى مهددين بالحرمان من هذه العناية .

٤ — لكل أم الحق فى حماية المجتمع ومساعدته .

٥ — يجب أن يكفل التشريع للأولاد الطبيعين الظروف اللازمة لنموهم الجسمانى والأدبى أسوة بالأولاد الشرعيين .

وفى دستور ألمانيا الشرقية تقول م ٣٠

١ — يعتبر الزواج والأسرة أساس حياة الجماعة ويتمتعان بحماية الدولة

تلغى جميع القوانين والأحكام التى تعرقل المساواة فى الحقوق بين الرجل والمرأة .

وتنص م ٣١ على أن :

« تربية الأولاد بقصد جعلهم رجالا قادرين جسميا وروحيا فى نظر الديمقراطية حق طبيعى للوالدين وواجب أساسى ازاء المجتمع »

وفى م ٣٢ :

للمرأة أثناء الولادة الحق فى حماية الدولة لها وفى الحصول منها على عناية خاصة وتضع الدولة القوانين لحماية الأمومة . ويجب إنشاء هيئات لحماية الأمهات والأطفال .

وكذلك نص الدستور الفرنسى على حماية الأسرة والأمهات والأطفال فى الفقرة الأولى والثانية والثالثة فى الجزء التمهيدى وكذلك الاعلان العالمى لحقوق الانسان فى المواد ١٦ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٧ مما يتسع المقام لذكره .

هذه أمثلة نبين بها الى أى حد أصبحت كل دولة متمدنة ترعى الأسرة والطفولة والأمومة ونحن فى مصر أحوج إلى هذه الرعاية بعد أن وصلت حالة الأسرة المصرية إلى الحضيض .

مسئولية المجتمع عن اضطراب الأسرة :

نحن نعيش فى ظل مجتمع موفور الحظ من الفساد الخلقى ، إستشرى فيه الفقر حتى أضناه وتفش فيه الجهل حتى هدمه أو كاد يهدمه . . ثم هو مجتمع أسلم زمامه لمجموعة باهظة من التقاليد الاجتماعية أبت هى الأخرى إلا أن تسوقه إلى التأخر والانحلال !

هذا المجتمع نحمله المسئولية الكبرى عما أصاب الأسرة المصرية من الفساد الدائم والفوضى التى لاتريد أن تؤذن بانتهاء . . مجتمع فقير لابد أن يتعدى فقره إلى الأسرة فيشيع فيها الفساد بكل أنواعه وتشكيلاته مجتمع جاهل لابد أن يهدى جهله إلى الأسرة فيشوهها ويجعلها أضحوكة وسخرية ؟

ولقد أصبحت المشكلة الأولى التى تواجه الأسرة المصرية هى مشكلة

العيش ومشكلة العيش فى الاسرة لايمكن أن تحل إلا إذا حلت فى المجتمع العام أولا ، وارتفع مستواه المعيشى ، ووجد كل انسان المسكن النظيف والمأكل والملبس والعلاج .

إن الاحصاءات تسجل أن متوسط دخل الفرد فى مصر ٣٦ جنيه فى السنة أى ٣ جنيه فى الشهر ، فاذا عرفنا أن فردا فى الأسرة هو الذى يعمل وهو الأب أو الزوج امكننا ان ندرك البؤس الذى يحيط بالأسرة المصرية من كل جانب .

ثلاثة جنيهات فى الشهر كيف تستطيع أسرة أن تأكل وتلبس وتتعلم وتعالج نفسها بهذا المبلغ ؟ .

فاصلاح المجتمع العام من الوجهة المادية ، ورفع مستوى الفرد الاجتماعى والمعيشى هو الطريق الأول الذى يؤدى بنا إلى أسرة سليمة تتطلبها نهضة بلادنا الحديثة ويرتضيها التطور .

واصلاح المجتمع يجب أن يكون من الوجهة الأدبية أيضا وذلك يستلزم تحريره من التقاليد الاجتماعية التى الحقت بالاسرة ضررا بالغا وإن كان بطريق غير مباشر . فهى

اولا : أبقت مركز المرأة فى المجتمع منحطا وحفظته على الطراز البدائى إذا إستثنينا مجموعة من النســـاء تحررن من التقاليد .. ففى المجتمعات البدائية يفرض الرجل السلطة المطلقة على المرأة ويعتبرها دائما أقل منه منزلة وكرامة ... وفى مجتمعنا ، جماعات بدائية مازالت تعتبر

المرأة هذا الاعتبار حسب التقاليد التى درجت عليها .

وقد يسألنا القارىء .

وما أثر هذا على مركز الأسرة ؟ فأجيب أن له الأثر الخطير .. فالرجل الذى دربته تقاليد المجتمع على عدم إحترام المرأة كمواطنة فى المجتمع العام ، والذى دربته على عدم التعاون معها ، وأفهمته أن رجولته وشهامته تستلزم التسلط على المرأة مثل هذا الرجل لايمكن أن يفهم فلسفة الحياة الزوجية وأنها تقوم على التعاون والحب والاحترام المتبادل ولذلك يدخل حياته الزوجية والفكرة التى تتسلط عليه أنه السيد المطاع وأن زوجته لاإرادة لها بجانب ارادته ، ولا احترام لها كما تحترمه وهذا أول مسمار فى نعش الحياة الزوجية خصوصاً إذا تزوج بامرأة تعتبر نفسها مساوية له تمام المساواه .

أعرف شابا لم يكن يحمل للمرأة إلا كل إحتقار وقد نشأ فى أغلال ثقيلة من التقاليد والعادات وكان يردد دائما هذه العبارة .

« إن الرجل عليه دائما أن يراقب زوجته ، ويخضعها لرأيه وكلمته لأن المرأة إذا تركت بغير رقابة تفسد ! » .

عبارة تدل على أن عقلية زمن الحريم والحجاب مازالت تسيطر على عقله هذا الشاب تزوج فى السنة الماضية وحاول فيها ان يترجم أفكاره وتقاليده إلى العمل . ولكنه لم يستطع الاستمرار فى حياته الجديدة أكثر من سبعة

أشهر ... ومن طراز هذا الشاب كثير جداً أفسدتهم التقاليد وأفسدت معهم حياتهم الزوجية.

لو أنهم كانوا فى مجتمع علمهم إحترام المرأة ودربهم على التعاون معها لدخلوا حياتهم الزوجية ، مدربين على التعاون مع من ستشاركهم حياتهم الزوجية ،فاهمين أصول هذه الحياة ، وعلى أى أسس تقوم. كما هو الحال عند شباب أوربا .

ثانيا : إحتراما لهذه التقاليد منع الاختلاط قبل الزواج ، وحرم الحب الذى يجب أن يكون هو الأساس الأول لزواجنا . . . ولذلك يستقبل الشاب والفتاة حياتهما الزوجية ويكاد كل منهما يجهل الآخر جهلا تاما .

نتيجة هذا — فى أغلب الحالات — فشل الزواج . إذ يجد كل من الطرفين نفسه على بعد كبير عن الآخر فى الطباع والأخلاق والآراء . بل يحدث كثيرا أن تقع الفتاة فى غش لايكشف أمره الا بعد زواجها. من ذلك مثلا ما وجدناه فى محكمة مصر الجديدة الشرعية . فمن بين ٣٠ زوجة فى مقتبل العمر ٢٤ زوجة أساس دعواهن أنهن وقعن فى غش أكتشف أمره بعد الزواج .

فهذه تقول لك : أنها تزوجته بعد أن أوهم أهلها أنه يمتلك كذا وكذا ثم إتضح أنه لايمتلك شيئا .

وهذه تقول لك : إنها إكتشفت بعد زواجها أنه متزوج من أخرى وأنجب منها بنتا .

وتلك تقول : أنه تظاهر بالأخلاق الكريمة عند خطبتها ولكن إتضح بعد السنة الأولى من الزواج أنه شرس الاخلاق جاف الطباع .

كل هذه المآسى كان من الممكن تجنبها لو ان المجتمع تحرر من تقاليده وأباح الاختلاط قبل الزواج . إذ لدرس كل من الخطيبين الآخر دراسة وافية ، ولوضع كل منهم يده على عيوب الآخر وإستطاع ان يعرف بعد ذلك إن كان الطرف الآخر يصلح له زوجا أم لا .

وهذا ما يحدث فى المجتمعات الاختلاطيه .... ولكننا نشذ عن هذا الطريق السليم ونذهب لنجمع بعض المعلومات عن الزوج أو الزوجة من بعض المعارف أو الاصدقاء ، وغالبا تكون هذه المعلومات خاطئة سرعان ما يبدو الخطأ فى السنين الأولى من الزواج .

ولعل هذا هو السبب فى كثرة الطلاق فى السنين الأولى من الزواج كما تسجل الاحصاءات (١)

نكتفى بهذا القدر الآن فيما يختص بالزواج ، وسوف نعود اليه فى بحث خاص لنبين الأساس الذى يجب أن يكون عليه زواجنا حتى نضمن حياة زوجية سعيدة .

---

(١) أنظر كتاب علم الاجتماع — الدكتور صلاح العبد .

والآن ننتقل الى التعرض لأعداء ثلاث يدفعون المجتمع الى الهاوية.

إنهم :

١ — الطلاق :

لم يشرع الاسلام الطلاق ليلهو به الناس ويهددون به فى حمق كما يفعل الكثيرون ، وانما شرعه للضرورة القصوى وبعد استنفاذ كل وسائل الإصلاح بين الزوجين.

أجل كان لابد أن يضع الاسلام هذا القيد على الطلاق حتى لا يصبح معول الهدم فى صرح الامم والشعوب . ويتضح هذا من قول الرسول عليه الصلاة والسلام .

« إن أبغض الحلال عند الله الطلاق »

ومن قول الله تعالى :

(وعاشروهن بالمعروف ، فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً) .

ولقد روى أن رجلا جاء إلى عمر يستشيره فى طلاق زوجته فقال له عمر (لا تفعل) فقال الرجل (ولكنى لا أحبها) فرد عمر قائلا

(ويحك أو لم تبن البيوت إلا على الحب ، فأين الرعاية ، وأين التذمم ؟ .

يقصد بذلك أن البيوت إذا عز أن تبنى على الحب ، فى الامكان

أن تبنى على الرعاية التى تبث الحنان فى جوانبها . وعلى التذمم الذى يأبى معه الرجل أن يصبح مصدراً لتفريق الشمل وتقويض البيت وشقاء الأولاد .

هذا هو حكم الاسلام فيما يختص بالطلاق وخلاصته ، أنه لايجب إلاعندما تصبح الحياة الزوجية جحيماً لايطاق وتفشل كل وسائل الاصلاح بين الزوجين .

وإذا نظرنا إلى المسيحية ، وجدنا أنها تتفق مع الاسلام فى الحكم ، فهى تمنع الطلاق إلا فى حالات خاصة ... فالمذهب الأرثوذكسى لايبيح الطلاق إلا لأمر من الأمور الآتية :

١ — الخيانة الزوجية . ٢ — العقم لمدة ثلاث سنوات .
٣ — المرض المعدى ٤ — الخصام الذى يمتد أجله ويتعذر الصلح معه .

والمذهب البروتستنتى لايبيح الطلاق كذلك إلا فى حالات خاصة منها الخيانة الزوجية ، والقسوة ، وسوء المعاملة ، وجنون أحد الزوجين.

وتعتمد المذاهب المسيحية التى تبيح الطلاق فى حالة الخيانة على ماجاء فى إنجيل متى على لسان السيد المسيح عليه السلام .

« من طلق امرأته إلا بسبب الزنى يجعلها تزنى ، ومن يتزوج مطلقة يزنى » .

أما المذهب الكاثوليكى فقد حرم الطلاق تحريما قاطعا معتمدا على ما جاء فى الانجيل الشريف على لسان المسيح .

(لايصح أن يفرق الانسان ماجمعه الله) .

ولكن بالرغم من إعتناق فرنسا المذهب الكاثوليكى إلا أنها أباحت الطلاق فى حالة واحدة من ثلاث حالات وهى :

١ — الزنا من أحد الزوجين .

٢ — تجاوز الحد والاهانة البالغة فى معاملة أحد من الزوجين الآخر

٣ — الحكم على أحد الزوجين بعقوبة قضائية مهينة .

مما سبق نرى أن جميع الأديان قد كرهت الطلاق ، وإعتبرته شرا يهدم الأسرة والمجتمع . . ولكننا نرى بعض المسلمين (وما أكثرهم) يلعبون باللفظ كأنهم أطفال صغار يلهون بدمية صغيرة غير مقدرين خطورة النتائج التى ستترتب على هذا الاستهتار والعبث .

هؤلاء سرطان فى جسم المجتمع أن يتطهر منه . . . وإن أخطر ما تتعرض له الدولة أن تسمح بأن يظل فى يد المستهتر حقا يستعمله فى الاساءة إلى مجتمعها .

لذلك يجب تقييد الطلاق وجعله أمام المحكمة وفى حالات إستثنائية خاصة . وفى رأيى أن تكون هذه الحالات الخاصة هى الحالات التى يسمح من أجلها المذهب الأرثوذكسى بالطلاق .

(الخيانة الزوجية — المرض المعدى — الخصام الذى يمتد أجله ويتعذر الصلح معه) .

وهنا سنرى كهنة آخر الزمان يطلون برءوسهم ، باكين أو متباكين على الدين ... قائلين كيف تسلبون حقاً من رجل أعطاه له الدين وتجعلونه للمحكمة .

وإلى هؤلاء وأمثالهم نسوق أقوى الأدلة على أن تقييد الطلاق وجعله أمام المحكمة ليس فيه إعتداء على الدين .

أولا : كان الطلاق الثلاث فى مجلس واحد يقع طلقة واحـــدة فى عهد الرسول .

وفى عهد أبى بكر ... فلما جاء عمر وجد أن الناس إستغلوا هذا التسامح وكثر — فى أوساطهم — الطلاق . فأراد أن يردعهم عن هذا الشر بطريق غير مباشر .. فماذا فعل .

غير ما كان عليه الحكم فى عهد الرسول وأبى بكر وأمضى الطلاق الثلاث فى مجلس واحد ثلاثاً . بحيث لايصح بعده رد المطلقة إلا إذا تزوجت من آخر . وفى ذلك قال عمر .

« إن الناس قد استعجلوا هذا التسامح فلنمض الثلاث ثلاث » فهل كان عمر يعتدى على الدين !!

ثانياً : عندنا تفويض مطلق من الرسول فى أمور دنيانا بمقتضى هذا الحديث :

« أنتم أدرى بأمور دنياكم » .

والطلاق هذا ليس من أمور الآخرة ، بل هو أمر من أمور الدنيا. فاذا وجدت الدولة مجتمعها فى خطر وأبصرت بآلاف الأطفال الأبرياء يشردون كل عام بسبب الطلاق ، فقامت لتقضى على هذا الطوفان بالقوانين يقال بعد هذا أنها إعتدت على الدين . . . أم يقال أنها طبقت حديث الرسول السالف الذكر وعملت به .

ثالثاً : الاسلام أعطى الانسان حق التصرف فى أمواله بكافة أنواع التصرفات القانونية ، ولكنه فى نفس الوقت أباح أخذ هذا الحق فيه بالحجر عليه متى أساء استعمال هذا الحق وتصرف فى أمواله تصرفات ينتج منها الضرر البالغ به وبورثته .. وكذلك إذا كان الاسلام قد أعطاه حق الطلاق فهو فى نفس الوقت لا يمنع أن يأخذ الحاكم هذا الحق منه متى أساء إستعماله وهدد المجتمع بالدمار .

ونحن نحب أن نسأل كهنتنا هذا السؤال :

هل يبيح الاسلام بكلمة من ست حروف تخرج من فم مستهتر هدم المجتمع البشرى وتشريد أطفال أبرياء ودفعهم إلى الشوارع أو الملاجى !

لا يمكن أن يبيح هذا وأعتقد أنكم تؤمنون بهذا .

إذن ما هو وجه التحريم إذا رأت الدولة أن تمنع التلاعب بهذا اللفظ الخطير وأصدرت تشريعاً يجعل الطلاق أمام المحكمة !

إنه بجانب إيماننا بوجوب صدور مثل هذا التشريع الذى يحفظ للأسرة سلامتها وكيانها ، نرى أيضاً أن تجند الدولة مجموعة من الخبراء الاجتماعيين لدراسة أسباب الطلاق وبواعثه فى المجتمع المصرى .

ولقد وجدنا فى كتاب علم الاجتماع للأستاذ الدكتور صلاح العبد ثلاث جداول تبين أسباب الطلاق فى المجتمع ننقلها هنا .

حالات الطلاق حسب الأسباب من جهة الزوجة

أسباب الطلاق	عدد حالات الطلاق	
	عام ١٩٤٧	عام ١٩٥٠
المرض	٣٦٨	٣٦٢
كبر السن	٤٦	٥٨
عدم النسل	١١٣٧	١١٥٨
سوء الأخلاق	٨٨٤	٧٢٨
الخيانة	٣٢٨	١٩٠
عدم الدخول فى الطاعة	٦٥	٢٣٧
اهمال مصالح الزوج	١٥٥	١٨٧
الكراهية	٢٨٣	٨٥٧٤
أسباب أخرى	٢١٦٧	١٩٩٨
الجملة	١٢٫٣٨٣	١٣٫٤٩٢

حالات الطلاق فى مصر حسب الأسباب من جهة الزوج

أسباب الطلاق	عدد حالات الطلاق	
	عام ١٩٤٧	عام ١٩٥٠
الأعسار	٥٥١٦	٤٢٨٤
كبر السن	١٤٤	١٢١
الزواج بأخرى	٥٨٤٩	٥٤٥٥
سوء المعاملة	٢٢٥	٢٨٧
اهمال مصالح الزوجية	٦٨	٢٨
الكراهية	١٦٨٧٢	١٦٥٤٦
المقامرة	٢٠٤	١٧٣
المخدرات	٥	٤
المرض	٤٢٨	٤٠٨
السكر	١٨	٥٧
أسباب أخرى	٢٢٦٩	١٩٠٣
الجملة	٣١٦٠٨	٢٩٢٦٦

حالات الطلاق فى مصر حسب الأسباب من جهة الزوجين معاً

أسباب الطلاق	عدد حالات الطلاق	
	عام ١٩٤٧	عام ١٩٥٠
اهمال مصالح الزوجين	٩٦	٢٤
الكراهية	٩٠٧٤	٩٤١٤
الاخلال بالشروط	٢٠	٤٧
عدم الموافقة	١٠٦٢٦	١٠٨١٠
النزاع والشجار	٧٠٤٧	٨١١٩
سوء المعاشرة	٢٣٩٢	٢٦٢٩
أسباب أخرى	١١٨٥	٢١٢٣
الجملة	١٠٫٤١٣	٤٢٫١٢٣

بالمقارنة بين سنة ١٩٤٧ ، سنة ١٩٥٠ فى الجداول السابقة نرى ظاهرة غريبة وهى ارتفاع حالات الطلاق فى سنة ١٩٥٠ !

وإذا صح ماقرأته فى بعض الصحف من أن حالات الطلاق بلغت سنة ١٩٥٣ أكثر من مائة ألف ، أمكننا أن نتخيل المجتمع المصرى وهو فى طريقه إلى الانهيار . وأن بضعة آلاف من الأطفال الأبرياء فى طريقهم إلى أسوار الأزبكية حيث المأوى لكل طفل شريد !

ومن الجداول الثلاثة السابقة نرى أن السبب الأول للطلاق هو الكراهية إما من جانب أحد الزوجين أو من جانبهما معا .

ففى سنة ١٩٥٠ وقعت ٨٥٧٤ حالة طلاق لهـــذا السبب من جانب الزوجة ، ووقعت ١٦٥٤٦ حالة لهذا السبب أيضا من جانب الزوج !

وهذه الكراهية تنشأ من عدم وجود الانسجام الروحى والمشاركة الوجدانية بين الزوجين وإختلاف الأمزجة والمشارب بينهما وعدم الاستجابة الجنسية بين الطرفين وهو موضح فى الجداول السابقة .

وكل هذا نستطيع أن نتجنبه لو أن الزواج فى مجتمعنا يقوم على أساس صحيح وهو ماسنوضحه - كما وعدنا - عند كلامنا عن الزواج .

(ب) بيت الرق (بيت الطاعة)

قلنا أن الطلاق شر كرهته الأديان وحثت على التريث والتردد قبل الاقدام عليه . ولكننا نقول — أيضا — أنه بجانب ذلك لاتقر أبداً الاكراه فى الحياة الزوجية بمعنى أن تعاشر الزوجة زوجها كرها ورغم أنفها أو يعاشرها هو كرها وإجبارا .. ولذلك رأينا المذهب الأرثوذكسى يجعل من الخصام الذى يمتد أجله ويفشل الصلح معه مبررا للطلاق . والاسلام أيضا يجنح إلى هذا . فى قول الله تعالى :

« وإن خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من أهله وحكما من أهلها إن يريدآ صلحا يوفق الله بينهما » .

ومعنى هذا أن الطلاق واجب إذا أستحكم الخلاف وفشل الصلح ولن تجدى أى وسيلة أخرى للتوفيق ، وإلا كانت الحياة الزوجية جحيما لايطاق .

ولكن الذى يحدث عند المسلمين أن الزوج يستطيع بكلمة واحدة أن يطرد زوجته ويهدم حياته الزوجية ، بينما إذا إستجارت الزوجة بالمحكمة لتخليصها من الزوج المستهتر العابث حكم عليها بالدخول فى بيت الطاعة ! ! وهـذا مظهر آخر من مظاهر إذلال المرأة والاعتداء على كرامتها وإنسانيتها فى هذا المجتمع المسكين ، كما أنه وصمة عار فى جبين الاسلام .

ولست أعرف أى كرامة لرجل — ودعونا نسميه رجلا من باب التجوز والشفقة — يذل زوجته ويسيء معاملتها ثم إبعد ذلك يتمسك بعشرتها معه .

هل هو حريص على الحياة الزوجية وعدم تشريد أولاده ؟ كلا ... هو غير حريص على ذلك ، وإنما هو حريص على أن تبقى سلطته ويبقى إذلاله لزوجته ، وهو أحرص على أن تتمرغ رجولته فى التراب وتهبط إلى أسفل السافلين عندما يصر بسخف على معاشرة زوجة لاتريد أن تعاشره وتحمل له كل إزدراء وإحتقار !

ولو أنه حريص على الحياة الزوجية وسلامة الأسرة لتجنب المشاكل

التى تدفع بالزوجة إلى كراهيته واحتقاره وطلبها الانفصال منه .

ولقد ثبت أن طلب الزوج زوجته للدخول فى بيت الطاعة ، إنما يقصد منه مجرد التشفى والانتقام ، فاذا طلبت الزوجة من المحكمة أن تنقذها من زوج رذل مشاغب قام هو بهجوم مضاد وسلاحه بيت الطاعة .

ثم إنى أسأل هؤلاء القضاة الذين يحكمون للزوج بطلبه : أى سند من الدين تستندون عليه فى حكمكم هذا ؟ ومن الذى يحق له أن يجبر زوجة على معاشرة الزوج السيىء الخلق ؟ وما الفائدة من بيت الطاعة إذا كانت الحياة الزوجية فيه نار تحرق وجحيم لايطاق ؟

حقيقة أن الاسلام لايبسر هدم البيوت ولا يضع الحياة الزوجية تحت رحمة نزوات المرأة ولا يقر نشوزها ، ولكنه أيضاً لايقر حياة زوجية قائمة على الاكراه والبغض والتشفى والانتقام . . . فان لم تكن قائمة على التعاون والمساواة والصفاء والاحترام المتبادل والحب الصحيح فيستحسن التحلل منها .

وعندنا من الدين أدلة على صدق مانقول : فى القرآن أشارة إلى أن الحياة الزوجية لايمكن أن تبنى على الاكراه والضغط إذ يقول الله : « فامساك بمعروف أو تسريح باحسان » وفى آية أخرى يقول الله : « فاذا بلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف » .

ولقد جاءت إمرأة — ذات يوم — إلى رسول الله عليه السلام ، وقالت له :

— يارسول الله . إنى لا أعتب على ثابت فى خلق أو دين . ولكنى لاأطيقه بغضا » .

فسألها الرسول « أتردين عليه حديقته ؟» وكان الزوج قد أمهرها بها.

أجابت — نعم أردها .

وجد الرسول فى الكراهية سببا يبيح الانفصال ، بالرغم من أن هذا الزوج لم يكن يسيء إلى زوجته بدليل قولها « إنى لاأعتب على ثابت فى خلق أو دين » .

وكانت للسيدة عائشة جارية متزوجة فأعتقتها ، فأرادت أن تنفصل عن زوجها ، فسار ورائها يبكى ، فرآهما رسول الله وقال للزوجة « إتقى الله » فردت عليه قائلة « أتأمرنى؟ » قال لا « بل أشفع » . وبالرغم من ذلك أصرت الزوجة على ترك زوجها .

ولم نسمع أن الرسول أمر بإدخال الزوجة الأولى أو الثانية بيت الطاعة !

إذن ، هذا السخف الذى يحمل إستهتاراً بإنسانية المرأة يجب أن يبطل .. وافهموا جيداً أن الحياة الزوجية لاتقوم على الاكراه والعبودية فى بيت طاعة أو خلافه .. وليته سمى بيت الزوجية حتى يكون وقعة أخف .

الرق المستتر أو الجوارى المحظيات :

إندثر نظام الرق إندثاراً تاماً ، وتحرر العالم المتمدن من هذه الوصمة ،

ولكن بقى فى مصر وبعض البلاد الشرقية نوعا آخر من الرق ، هو مستتر يتمثل فى جوارى محظيات أربعة ، وماهو ؟ أنه يتمثل فيما يسمى تعدد الزوجية . أساء المسلمون إلى دينهم أبلغ إساءة عندما سمحوا لهذا النظام أن يستترى فى أوساطهم ، وبلغت الإساءة إلى الدين الاسلامى الذروة عندما تمسك المسلمون بتعدد الزوجات فى القرن العشرين حيث المدنية التى تمج هذا النظام وتحتقره .

والشعوب الغربية تطلق علينا لفظ الهمج عندما يبلغهم أن جوارى محظيات أربعة يتزوج بهم رجل واحد فى القرن العشرين .

وقد يواجهنا منطق : وهو كيف تقول أن المسلمين يسيئون إلى دينهم بتعدد الزوجية والدين نفسه سمح به ؟ هذا منطق ضعيف ، لأن الدين أعطى هذه الرخصة بيده اليمين وسحبها فى نفس الوقت بيده الشمال بطريق غير مباشر عندما وضع شرطا يستحيل تطبيقه إذا أردنا أن نتمتع بهذه الرخصة .

لنسمع القرآن يقول « وإن خفتم ألا تقسطوا فى اليتامى ، فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة

فتعدد الزوجية مشروط بالعدل التام المطلق ، فان لم نستطع أن نعدل يصبح تعدد الزوجات حرام .

وهل فى استطاعتنا أن نعدل ؟ قد تختلف فيقول أحدنا نعم نستطيع

أن نعدل وقد يقول آخر لانستطيع وهكذا . ولكن لنسمع فصل الخطاب من الله سبحانه وتعالى فهو الذى يعلم إن كنا نستطيع أن نعدل أولا وهو أعلم بما فى نفوسنا وأخلاقنا وحالتنا واتجاهنا .

أنه سبحانه يقول « ولن تستطيعوا أن تعدلوا ولو حرصتم » .

ويقول أيضاً « فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت إيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا » .

ومعنى العبارة الأخيرة : إن ذلك الاقتصار على إمرأة واحدة هو أقرب الوسائل لعدم وقوعكم فى الظلم (راجع الشيخ رشيد رضا ص ٤٣ حقوق النساء فى الإسلام) .

تعدد الزوجات إذن رخصة أعطاها لنا الله فى الآية (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) وشرطها بالعدل فى الآية (فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة) . ثم أخذ منا هذه الرخصة بطريق غير مباشر فى الآية (ولن تستطيعوا أن تعدلوا ولو حرصتم) .

فهل بعد هذا يقال الإسلام يشجع على تعدد الزوجية ؟ أظن أن الذى يقول هذا هو مغفل .

وإذا كان الإسلام لم يحرم التعدد تحريما قاطعاً ، فذلك — كما يقول الأستاذ الشيخ رشيد رضا — لاعتبارات إجتماعية ضرورية اقتضت وجوده فى جزيرة العرب ، ورغم هذه الاعتبارات والضرورات قيد التعدد بشرط

العدل الذى يستحيل تحقيقه بشهادة القرآن نفسه .

أما فى عصرنا الحديث ، فقد زالت هذه الاعتبارات كلها ، وأصبحت المدنية الآن على عداء مع هذا النظام ، فوجب إذن وضع حـــد لهذا العبث الذى يسيء إلى الإسلام باسم الإسلام والإسلام منه برىء .

وفى نشوة من الفرح والسرور أسوق إلى الذين يتمسحون بالدين كلما هموا بإضافة جارية محظية إلى بيتهم أروع دلالة على أنهم يظلمون الدين .

اسمعوا : لقد منع الرسول على بن أبى طالب من الزواج على فاطمة

روى أبو داود والترمذى وابن ماجة وأحمد والنسائى عن المسورين مخزمه أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :-

(إن بنى هاشم بن المغيرة ، إستأذنونى أن ينكحوا (يزوجوا) إبنتهم على بن أبى طالب الا وإنى لا آذن لهم ، ثم لا آذن لهم ، إلا أن يحب ابن أبى طالب أن يطلق إبنتى وينكح إبنتهم ، فإنما إبنتى بضعة منى يريبنى ما رابها ويؤذينى ما آذاها) .

وعند الذين يؤيدون التعدد رأى غريب : فهم يقولون أن عدد نساء مصر أكثر من عدد رجالها ، فإباحة التعدد تستوعب النساء الزائدات أى يتزوجن !!!!

وهذا الرأى الغريب يحل مشكلة ليخلق مشكلة أعقد منها . ويعالج جرحا بسيطا فى الأصبع ببطر هذا الأصبع ويطفىء شرارة بنار .

فمصير الأسرة إلى الدمار التام من جراء التعدد وقد ثبت هذا بما لا يدع مجالا للشك فقد بينا فى الجدول رقم ١ أن تعدد الزوجات من الأسباب المباشرة للطلاق : ٥٨٤٩ حالة من حالات الطلاق عام ١٩٤٧ كان سببها زواج الرجل بأخرى و ٥٤٥٥ حالة فى سنة ١٩٥٠ لنفس السبب فأليس هذا دمار للمجتمع ؟

وليس فى هذا ما يثير الدهشة فالتعدد يجعل حياة الزوجة جحيما لا يطاق ! ويولد الغيرة الشديدة بين النساء ونحن لا نستطيع أن ندفع هذه الغيرة فهى شىء طبيعى فى المرأة لا دخل لها فيه وقد عرفنا أن الرسول منع على من الزواج على إبنته فاطمة مراعاة لشعورها قائلا « فانما ابنتى قطعة منى يريبنى ما رابها ، ويؤذينى ما آذاها » وعائشة وحافصة وهما المثل الأعلى للنساء لم يستطيعا أن يدفعا غيرتهما عندما تزوج الرسول صفيه بنت حيي وقالتا « نحن أكرم على رسول الله منها »

أما أثر التعدد على الأولاد فهو لا يحتاج إلى بيان ويكفى أنه يخلق بينهما روح العداوة والبغضاء فكأننا عالجنا مشكلة النساء الزائدات عن الرجال بتشريد ٥٨٤٩ امرأة سنة ١٩٤٧ ، وتشريد ٥٤٥٥ امرأة سنة ١٩٥٠ وملحقاتها من أولاد وأطفال . أى أننا عالجنا مشكلة النساء الزائدات عن الرجال بخلق الاضطراب فى آلاف الأسرات وخلق الإضطراب فى المجتمع .

وليس تعدد الزوجات جحيم للمرأة فقط ، بل هو أيضا للزوج إذ

يجعله حائرا لا يهتدى إلى حال وقد قرأت ثلاثة أبيات فى غاية الطرافة للشيخ الطهطاوى يصف فيه سوء حاله فيقول :

تزوجت اثنتين لفرط جهلى وقد حاز البلى زوج اثنتين
فقلت أعيش بينهما خروفا ينعم بين أكرم نعجتين
فجاء الحال عكس الحال عذابا دائما ببليتين

ثم أن عصرنا الحديث بما يتطلبه من أعباء ماليه لم يعد يسمح بتعدد الزوجات لا فى الطبقات الغنية ولا فى الطبقات الفقيرة من باب أولى .

تصور فلاحا أو موظفا أو عاملا دخل كل منهم محدود . كيف يستطيع أى منهم الانفاق على زوجتين ؟

لقد فزع الأستاذ الإمام محمد عبده من هذا النظام ، فشن عليه حربا شعواء لاهوادة فيها ولا رحمة وقرر « أنه يستحيل تربية الأمة تربية صحيحة مع وجود هذا التعدد الافسادى الذى صار يجب منعه عملا بقاعدة لاضرر ولاضرار الثابتة فى الحديث . وقاعدة تقديم درء المفاسد على جلب المصالح المتفق عليها . »

وكذلك حمل عليه الأستاذ الشيخ محمد رشيد رضا وقال « صار التعدد مثارا لمفاسد لاتحصى فى الأزواج والأولاد وعشائر الزوجين حتى إنقلب ماسميناه من أركان الزوجية الثابتة فى كتاب الله تعالى من حب ومودة ورحمة إلى أضدادها »

فإذا جاء كاهن من كهنة الدين وقال بأن منع تعدد الزوجات ضد الدين، فانما يقول هذا باسم الكهانة لا باسم الدين.

كذلك لا يصح لأحد بأن يحتج بتعدد زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام. فالرسول لم يتزوج بأكثر من واحدة لكى يكون ذلك من بعده سنة بدليل منعه لعلى من الجمع بين زوجتين. وانما تعددت زوجات الرسول لأن رسالته اقتضت هذا، وليس أدل على أن الرسول كان يكره تعدد الزوجات من أنه قبل بعثته وفى السنين الأولى من بعثته إكتفى بزوجة واحدة فقط أكتفى بخديجة التى كانت تكبره بأكثر من خمسة عشر عاما. إكتفى بها فى وقت كان تعدد الزوجات عند العرب وعند الشرائع القديمة هو القاعدة وليس لها استثناء إلا بضعة حالات تعد على الأصابع. فلماذا لم يتزوج الرسول على خديجة إذا كان يهوى تعدد الزوجات لغرض جنسى أو خلافه؟ لو أنه تزوج على خديجة لكان له العذر لأنه كان فى ريعان الشباب وكانت هى قد تعدت سن الشباب بكثير ولكنه لم يفعل.

فتعدد زوجاته اذن بعد بعثته بسنين وبعد موت خديجه، كانت للمصلحة الضرورية للاسلام. وأنت ما تقرأ عن ظروف زواجه بكل زوجة الا وترى مصلحة الاسلام واضحة وضوحا تاما فى ذلك.

الزواج

بينت فى حديثى عن الطلاق ان من الأسباب الرئيسية المؤدية اليه الكراهية وقلت أيضا أن مرجع ذلك أن الزواج عندنا يقوم على أساس خاطىء وبغير سابق دراسة ومعرفة وهذا الأساس الخاطىء مستمد من تقاليد المجتمع وعاداته .

هو أشبه بالصفقة التجارية ، طرفيها الزوج ووالدى الفتاة . أما الفتاة نفسها فهى بضاعة تشحن بالطبل والزمر إلى بيت الزواج !

وللزواج عندنا شروط تقليدية يجب توافرها فى الطرف الأول أهمها أن يكون المهر مقداره كذا . وأن يمتلك كذا وكذا . . فإذا كانت له هذه الامكانيات المادية رميت اليه الفتاة وكأنها فردة حذاء بالية !

يكفى الأم أو الأب أن يجمع بعض المعلومات عن الزوج من الأصدقاء والمعارف حتى إذا شهدوا بأن له من الصفات والامكانيات مايرضى الآباء والأمهات تمت الصفقة وبيعت الفتاة وسلم مصيرها إليه .

الزواج فى مجتمعنا على هذا الطراز . . . وإذا عارضت هذا ، قالوا لك انها التقاليد ورفعوها سلاحا فى وجهك .

وصدقونى إذا قلت أن نتيجة هذا مأساة ! . . . يدخل الطرفان حياة أخرى مجهولة ولا يعرف أحدهما حقيقة الآخر ، ثم تنكشف رويدا

رويدا ، فيتضح أنه لم يكن الرجل الذى يصلح لها ، ولا هى التى كانت تصلح له . . لاوفاق عقلى بل اختلاف فى العقلية والتفكير . كذلك لاانسجام عاطفى لعدم التوافق فى الطباع والأخلاق الشخصية . . وتبدأ حياتهما الزوجية تتحطم على صخرة التقاليد ، وقد يكون نتاج هذه الحياة أطفالا أبرياء يحتارون بين الأب والأم .

وقد تسأل على أى أساس إذن نتزوج ؟ فأقول أن الأساس الصحيح لزواج سعيد هو الحب ولكن منا من لايعترف به ويعتبره غير مهم للزواج . . بل منا من يعتبر الحب فسادا ويترجمه إلى أفكار وأحاسيس يبرأ منها المتمدنون . إنهم مثلا يعتبرونه شهوة جنسية بين الرجل والمرأة . وطبقا لهذا الاعتبار الهمجى للحب أصبحنا نرمى من يحبون بالفساد والانحلال !

ونحن حين نقول أن الزواج يجب أن يكون أساسه الحب ، لانقصد تلك النظرة الطائشة له التى تتفشى بين المراهقين والمراهقات ولا نقصد ذلك الحب الجنسى الذى يرضى الجسد ولا يرضى العاطفة والروح ولا الحب الأفلاطونى الذى يترجمه الشعراء والفنانين إلى الشعر والغناء !

وانما نعنى بالحب كأساس لحياتنا الزوجية . الحب بمعناه العلمى الصحيح بمعناه الجميل الإنسانى . بمعناه الذى يفيد اكتمال انسانية الرجل والمرأة

فما هو إذن المعنى الصحيح له ؟

انه «ارتباط بين رجل وامرأة أساسه الاتفاق العقلى والانسجام العاطفى والتجاذب الجنسى»

ويجب أن تتوفر هذه العوامل الثلاثة بين الزوجين بدرجة متساوية ولا نقصد التساوى بلغة الأرقام وانما نقصد أن لا يطغى عامل على آخر بمعنى أن يطغى مثلا التجاذب الجنسى على الاتفاق العقلى والانسجام العاطفى لأننا نكون هنا أمام شهوة لا حب . أو أن يطغى الاتفاق العقلى ويعدم العاملين الاخرين إذ فى هذه الحالة نكون أمام احترام عقلى متبادل لا حب . أو أن يوجد الانسجام العاطفى ويغيب العاملين الاخرين فإن هذه الحالة تنشىء استلطافا متبادلا وهو غير الحب .

وسنشرح بإيجاز كل عامل من هذه العوامل الثلاثة :

الاتفاق العقلى

ليس المراد منه أن يكون رأيهما وتفكيرهما واحداً فى كل الأمور صغيرها وكبيرها بحيث أن مايراه الزوج هو ماتراه الزوجة أو العكس ذلك مستحيل ، وأن وجد فلا يكون إلا إذا سيطر طرف منهما على الاخر سيطرة عقلية وهذا مالانقره لأنه بذلك تتلاشى شخصية أحد الزوجين فى الاخر .

ولكن الاتفاق العقلى معناه تقارب الرأى والتفكير والنظر إلى مشكلة الحياة بمنظار واحد . واتفاق على الأهداف التى يبغيان الوصول

اليها . وهذا لايمنع من أن يختلفا فى بعض الأمور الجزئية التى لاتصلح لأن تكون سببا فى هدم حياتهما الزوجية .

أما إذا لم يكن تفكيرهما متقارباً ، وآراؤهما مختلفة إختلافاً كبيراً أدى هذا إلى الشجار والمنازعات التى تؤدى آخر الأمر إلى الكراهية والنفور .

وفى هذا المعنى يقول الدكتور صلاح العبد فى كتابة علم الإجتماع ص ١٢٧ ، ص ١٢٨

« أن من أسباب الطلاق ، الاختلاف فى الآراء والسلوك . إذ أنه فى أحيان كثيرة يكون الرجل رجعيا والزوجة متحررة من التقاليد أو بالعكس ، أو أن الزوج يؤمن بمذهب سياسى أو اقتصادى يخالف رأى الزوجة مما يجعلهما فى شجار ومناقشات تؤدى إلى الانفصال » .

وطبيعى أننا لكى نعرف ما إذا كان هـــذا الاتفاق العقلى متوافر عندنا أم لا ، يجب أن نختلط قبـــل الزواج وأن يدرس كل منا الآخر . ولأن هذا الاختلاط غير موجود فى مجتمعنا لانعرف شيئاً عن عقلية الطرف الآخر وهذا يؤدى إلى الانفصال .

ولذلك يقول الدكتور صلاح العبد فى ص ١٢٧ « عادات الزواج فى مصر لاتعطى الرجل أو المرأة فرصة لمعرفة كل منهما قبل الزواج . إذ أن أكثر حالات الزواج تكون عن طريق الوالدين دون إعطائهما

فرصة للتعارف على بعضهما . والزواج الذى من أساسه الإنسجام العقلى أقل أنواع الزواج انتشاراً فى مصر » .

الانسجام العاطفى :

معناه تجاذب نفسية وعاطفة كل من الرجل والمرأة .. هذا التجاذب يجعل كل منهما فى إشتياق دائم لرؤية الآخر والحياة معه . بحيث إذا غاب أحدهما عن الآخر بعض الوقت شعر بفراغ فى حياته .

ولذلك أعتقد أنه فى مصلحة الزوجين أن يغيب كل منهما عن الآخر شهراً أو شهرين فى العام حتى يتجدد دائما الإشتياق والرغبة إلى كل منهما .

هذا الانسجام العاطفى يجعلهما فى إخلاص دائم ، ويبث عندهما الشعور بالعطف والحنان .

وطبيعى أن هذا الانسجام لايكون بين زوجين إلا إذا كان كل منهما متقاربين فى الطباع والشعور والأخلاق الشخصية . فلا يوجد إنسجام عاطفى وتجاذب نفسى بين زوجين أحدهما شرساً والاخر فاضلا . أو بين زوجين أحدهما فى طباعه يختلف عن طباع الآخر . وأيضاً ينعدم الانسجام المذكور فى حالة فقد الاتفاق العقلى بين الزوجين .

التجاذب الجنسى :

معناه أن يشعر الرجل بأن عاطفته الجنسية تقوده نحو إمرأة معينة ، هى زوجته ، والعكس .

ونحن لايجب أن ننكر أهمية العلاقات الجنسية فى عالم الزواج . هذه الأهمية التى فرضتها الطبيعة حفظا لبقاء الجنس البشرى ... والتكافؤ الجنسى بين الزوجين من الضرورات التى تحفظ الزواج من الانهيار . فقد ثبت أن كثيراً من حالات الخيانة الزوجيـــة مرجعها إلى عدم الإستجابة الجنسية من أحد الزوجين ، كما ثبت من الإحصاءات التى ذكرناها أن عدم التكافؤ الجنسى بين الزوجين من الأسباب الهامة المؤدية إلى الكراهية والطلاق .

قلنا أن التجاذب الجنسى هو العنصر الثالث من عناصر الحب وأنه يجب أن يتوافر فى حياتنا الزوجية . بيد أن هذا التجاذب وحده لايصح أن نبنى عليه حياتنا الزوجية . وإلا كنا فى حالة الاشتهاء الجنسى . وأخطر ماتتعرض له حياتنا الزوجية أن تقام على أساس الشهوة الجنسية ، ذلك أن الشهوة ستزول بمرور الوقت وعندئذ نجد أن الأساس الذى ارتبطنا عليه قد أنهار ، فينهار معه زواجنا .

لا وجود لخيانة زوجية فى ظل هذا الحب :

تحت ظلال هذا الحب يمكننا أن نقتل جراثيم الأمراض التى تسبب هدم الأسرة . أهمها شأنا الشجار والمنازعات التى تؤدى إلى الكراهية ، والتى تؤدى بدورها إلى الخيانة الزوجية .

أجل يوم يقوم الزواج على الحب بعوامله الثلاثة السابق ذكرها ، يوم يقضى على الخيانة الزوجية قضاء مبرما . فالرجل إذا أحب زوجتـــه

وأخلص لها لن يفكر أبداً فى خيانتها مع إمرأة أخرى ولو انطبقت عليها أوصاف فينوس .. وكذلك الزوجة التى تحب زوجها لن تخونه أبداً مهما أحاط بها من إغراء ومشاكل مادية ؛ ولن يستطيع إنسان فى الوجود أن يحرضها على الجريمة والفسق .

أما إذا كانت قد تزوجت وهى لاتشعر بالحب لزوجها فان إحتمال وقوعها فى الخيانة كبير جداً .

الاختلاط بين الجنسين

فى هذا الفصل

١ — صفات المجتمع المتأخر

٢ — الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة

٣ — الانفصال لايحفظ الأخلاق

٤ — الانفصال يورث الشذوذات الجنسية

٥ — الكبت هو الأب الشرعى للانحرافات الجنسية.

٦ — العلاج هو :—

الاختلاط

الرياضة

الثقافة الجنسية

صفات المجتمع المتأخر : —

ان المجتمع الصالح هو المجتمع المتمدن . ، المجتمع الذى ينساق مع مواكب التطور ويبارك أساليب الحياة العصرية . . هذا هو المجتمع الذى ينال من احترام المتمدنين النصيب الأوفر .

أما المجتمع الساقط فهو الذى يشذ عن الحضارة وتنتشر فيه المبادىء الرجعية وأفكار القرون الوسطى ...إنه مجتمع يستحق إحتقار البشرية المتمدنة . .

وأول مانلاحظه على المجتمعات المتأخرة أنها إنفصالية . لها تقاليد تبرأ منها الإنسانية المتمدنة . أهمها شأنا أنها لاتعترف بمساواة ولاتعاون بل بسيادة جنس على جنس وكذلك تمنع النصف الاخر عن العمل والانتاج .

كما أن مجتمع الإنفصال يتميز بالجهل ، ويحارب العلم باسم الدين وتنحط فيه الأخلاق بإنتشار الشذوذات الجنسية . وهذا عكس المجتمع الإختلاطى .

ومن لايريد أن يصدق فليتفضل بإلقاء نظرة على مجتمعات الإختلاط الغربية ، ويقارنها بمجتمعات الإنفصال الشرقية ليرى السماء ويرى الأرض

وإذا كانت هذه المجتمعات المتمدنة قد تخلت — سامحها الله — عن

تقاليدنا الباهظة وأخلاقنا المزعومة فلانها قد جربتها طويلا وشربت كاسها المترعة بالفشل فكشفت عنها الغطاء والقتها بعيدا ومضت كالشهب نحو الإرتقاء والتحرر .

فلنحذو حذوها ولنهدم أغلال التقاليد ولنحول مجتمعنا من الإنفصال إلى الإختلاط التام .

إن للإختلاط أعظم الفوائد والمزايا نذكر منها ناحيتين :

الأولى : إن الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة .

الثانية : إن الاختلاط أجدى للاخلاق العامة من الإنفصال ،

الاختلاط يساعد على رفع مستوى المعيشة : —

بين اخلاقنا والبيئة التى نعيش فيها ارتباط وثيق تبدو آثاره فى سلوكنا وتفكيرنا . وكلما تطورت البيئة وارتقت ، ارتقت معها الأخلاق ونال سلوكنا حظا وفيرا من الاستقامة ، وأصاب تفكيرنا شيء من التجديد والرقى .

ففى المجتمعات المتأخرة نجد أخلاقا متأخرة ، وتفكيرا رجعيا سقيما وسلوكا طابعه التعصب والجمود . وبالعكس نجد فى البيئات المتقدمة أخلاقا متقدمة وتفكيرا حرا وسلوكا راقيا .

خذ مثلا حوادث القتل والسرقة ، تجدها شائعة فى البيئات الفقيرة

والتى يسودها الجهل ، وقد تقع حوادث قتل لأتفه الأسباب ... بينما تجد مثل هذه الحوادث تكاد تنعدم فى البيئات المتمدنة المثقفة .

لذلك فان مشكلتنا الأخلاقية لم تعد تتمثل فى إدراك أن هذا حلال ، وهذا حرام ، أو هذا خير وذلك شر ... فإن القاتل يعلم علم اليقين أن جريمة القتل لها عقاب يدفعه إلى جهنم خالداً فيها ، كما أن لها عقاب - فى الدنيا - يقوده إلى السجن المؤبد أو إلى المقصلة ... ومع ذلك لا يعير هذا المصير أى التفات ، بل يوجه همه كله وتفكيره كله إلى الوسائل التى يرتكب بها الجريمة .

إذن فمشكلتنا الأخلاقية أصبحت تنحصر فى إدراك نوع المجتمع وطبيعته . . فان كان له مستوى معيشة منحط ... مكبل فى أغلال من التقاليد الباهظة التى تعوقه عن التقدم والرقى ، فهو حقل خصب لبذر بذور الجريمة على إختلاف أنواعها .

ولعل « كارل ماركس » كان يقصد إلى هذه الحقيقة حين قال :

« إن ضمير الإنسان يتغير تبعاً لتغير علائقه الاجتماعية وحياته الإقتصادية ، فاسحقوا إستغلال الإنسان للإنسان تذهب العداوة ، وتذهب مع العداوة الرذيلة » .

ولذلك إذا سمعت أن فلان قتل فلاناً أو سرقه ، فإعلم أن المجتمع هو الذى دفعه إلى القتل والسرقة ، لأنه لم يهتم بأن يرفع مستواه المعيشى

ليمنعه عن السرقة ، ولم يهتم بتثقيفه وتمدنه ليمنعه عن القتل !!

إرتفاع مستوى المعيشة — إذن — حصن يصد الجرائم ويحمى المجتمع منها ... ولست بحاجة إلى أن أبين أن إرتفاع مستوى المعيشة يتطلب تصنيع المجتمع وزيادة إنتاجه . . ولكن من الأخطاء التى مازلنا نجهل صحتها ، أثر المرأة فى رفع مستوى المعيشة وزيادة الإنتاج . ذلك أنها تكون نصف المجتمع العام ، وعملها مع الرجل معناه أن المجتمع كله يعمل وينتج . . ومادام كل فرد فى المجتمع يعمل وينتج . . ومادام أنه مطهر من فئة الرأسماليين الذين يعيشون عالة على الطبقات الكادحة ، ينهبون أرزاقها ، ويستغلون مجهودها فى الإثراء على حسابها ، فتأكدوا أنه مجتمع سليم متمدن .

ونظرة إلى مستوى المعيشة فى المجتمع الاختلاطى الغربى ، ونظرة أخرى إلى مستوى المعيشة فى المجتمع الانفصالى الشرقى ، لنجد فرقا كبيراً بين هنا وهناك .

وليس هذا الفرق — فى نظرى — مرجعه إنتشار الصناعات فحسب ، بل مرجعه أيضاً أن المجتمع الاختلاطى يحرك اليدين معا فى الانتاج — والعمل . يد الرجل ويد المرأة ... بينما مجتمع الانفصال لايحرك إلا يداً فى الانتاج . إن كان له إنتاج — هى يد الرجل .

ويستتبع ذلك إزدياد الأيدى العاملة وازدياد الانتاج فى مجتمع الاختلاط ، بينما تقل الأيدى العاملة ويهبط الانتاج فى مجتمع الانفصال .

ويمكننا أن نشبه الدولة بجسم الانسان والرئتين هما بمثابه جنسى الأمة . فهل يكون الجسم سليما قادراً على الحركة والعمل لو أدت رئة واحدة عملها وتعطلت الأخرى ؟!

كنت أقول رأيي هذا فى مجلس ضم بعض الكتاب والصحفيين الأفاضل ، فاذا بكاتب يقول معارضاً ، أن اختراع الآلات الحديثة من شأنها أن تقلل من الأيدى العاملة ، ولذلك يكون فى استطاعة المجتمع أن يستغنى عن مجهود المرأة فى المصانع ،

وهذا خطأ ... لماذا ؟

لأن انتشار الآلات الصناعية لايؤدى إلى كثرة البطالة كما يظن البعض — وقلة الأيدى العاملة ، بل يحولها إلى أعمال أخرى تنشأ نتيجة إختراع الآلات الجديدة .

وفى كتاب صغير بعنوان « الرجال الأحرار يصنعون دولة قوية » أصدرته السفارة الأمريكية بالقاهرة — نجد فى ص ١٥ ، ١٦ ما يأتى تحت عنوان « الآلات الجديدة تفتح أبواباً جديدة للعمل » .

« عندما بدأت الثورة الصناعية ، تقدم التطور الاقتصادى وبخطى سريعة جعلت بعض العمال اليدويين يفقدون أعمالهم أمام توسع التصنيع الآلى .. ويحدث هذا عادة عندما تدخل الآلات ميدان الصناعة ، ولكنه تحول وقتى فقط إذ سرعان ماتتفتح أبواباً جديدة للعمل نتيجة دخول

الآلات الجديدة فتستوعب كثيراً من الأيدى العاملة » .

ويذكر الكتاب المذكور أمثلة منها .

« أن ١٫٠٠٠٫٠٠٠ (مليون) عامل من المشتغلين بأعمال الحوذية والمهن الصغيرة ، وجدوا أعمالا أخرى عندما نشأ ٦٫٣٨٠٫٠٠٠ عمل جديد فى صناعة السيارات وبيعها وإصلاحها .

واليوم زاد عدد الأمريكيين الذين يصنعون الآلات عن عدد جميع العمال الذين كانوا يشتغلون بالصناعات المختلفة قبل مائة عام .

وفى الثمانين سنة الأخيرة ظهرت أنواع جديدة من الصناعات بفضل الالات الجديدة منها ٤ مليون صناعة يشتغل بها وحدها ١٣ مليون عامل » .

ومصر الان على عتبة ثورة صناعية ضخمة ، وقريبا سنرى المصانع الشامخة تملأ رحاب الوادى ، وهذا كله يتطلب أيدى عاملة كثيرة ولذلك ، ستخرج المرأة إلى المصانع راضين أم مكرهين .

وعمل المرأة لايقتصر على المصنع بل يجب أن يمتد إلى كل الأعمال التى يقوم بها الرجل حتى تساهم بعملها هذا فى رفع مستوى معيشة الأسرة

وللقارىء أن يسأل نفسه :

لماذا تنعم الأسرة الأوروبية أو الامريكية أو الروسية ولا تقع تحت

ذل الشقاء والفقر ؟ الجواب واضح كل الوضوح ويتلخص فى أن الرجل يعمل ويكسب ، والمرأة تعمل وتكسب ، والأبناء القادرون يعملون ويكسبون . حتى طلاب وطالبات المدارس والجامعات يقضون عطلة الصيف فى حرف يجمعون منها نفقات العام الدراسى المقبل .

أما هنا . . فى بلاد التقاليد والفقر فان فرداً واحداً هو الزوج ينوء كاهله المضنى بنفقات أسرة كامله لاأول لها ولا آخر ، فيذبل شبابه ويهرم عزمه ويموت قبل الأوان مخلفا وراءه سيدة مترهلة من السمنة والإكتناز .

وفى صيف العام الماضى عرضت السفارة الأمريكية بالقاهرة فيلما يسمى « فتى أمريكى يبيع الجرائد » . من هذا الفيلم تستطيع أن تضع يدك بسهولة على أثر الإختلاط فى رفع مستوى المعيشة .

ويتلخص موضوع الفيلم فى أسرة مكونة من أب وأم وولدين وبنتين الأب يعمل فى مصنع . والأم تشتغل وقت فراغها فى مستشفى محلى . والابن الأكبر يدرس فى الجامعة ولكن نفقاتها لاتكلف الأسرة شيئاً لأنه يعمل وقت فراغه ويحصل من عمله على النقود الكافية لسد نفقات تعليمه وملبسه ، والابن الصغير طالب أيضا فى الجامعة وبعد الظهر لايتأنف من توزيع الجرائد والمجلات لكى يحصل على المال اللازم لتعليمه الجامعى ولنفقات ملبسه أما الأختين فتعملان أيضا وتكسبان من النقود مايكفى لشراء اللازم من الثياب ومظاهر الحياة الحديثة .

هذا هو مانريده أيضا فى مصر . نريد أن يعمل كل فرد فيها ، الرجل والمرأة ، الشاب والفتاة .

وإذا كانت ثمة ظروف خاصة تمنع بعض النساء من العمل ، أو إنهن لايملكن القدرة على الجمع بين العمل والمنزل فلاشك أنه يجب أن يتفرغن للبيت ولكن ليست كل النساء عاجزات عن الجمع بين العمل فى البيت والخارج كما أنه ليست كل النساء متزوجات . . فلماذا نحرم هؤلاء من العمل ؟ ! لماذا نحرم المجتمع من الاستفادة من مجهودهن !

قلنا أن أثر المرأة فى خدمة المجتمع لايجب أن ينكر ، ونستطيع أن نستمد من الريف أدله على ذلك . فمعروف أن المرأة الريفية تختلط بالرجل ، وتعمل معه فى الحقل واشتراكها فى العمل يوفر وقتا وجهدا ويزيد الإنتاج الزراعى .

نفرض مثلا أن فدانا من القطن يجنيه الرجال وحدهم . . فكم من الزمن تحتاجه لاتمام عملية الجمع ؟ لا أقل من أربعة ساعات يوميا . . أى أننا قطعنا وقتا طويلا فى جمع ثمار فدان واحد وكثر علينا العبء بحيث أخر توجيه نشاطنا إلى نواح أخرى من الأعمال الزراعية . . ولكن عندما تشترك النساء أيضا فى عملية الجمع ، سيقل العبء الملقى على عاتق الرجال ، وتستغرق العملية وقتا أقصر ، وبذلك يتوفر الوقت لتوجيه النشاط إلى النواحى الزراعية الأخرى .

كذلك عمل المرأة مع الرجل فى الحقل يدر على الأسرة الريفية أجرا مضاعفا فاذا فرضنا أن أجر الرجل يوميا عشرين قرشا ، وكذلك المرأة يكون المجموع أربعين قرشا ، بينما يكون النصف لو اقتصر العمل على الرجل وحده . . وكلما اشتغل فرد آخر من الأسرة كلما زاد دخلها .

هذه حقائق واضحة وضوح الشمس يريد نفر أن يحجبها بحجة التقاليد والأخلاق نفر لايهمه أبدا أن تتخلف البلد عن التمدن الحديث وأن يظل مستواها المعيشى منحط .

وأخيرا نوجه سؤالا إلى المعارضين فى اشتغال المرأة :

هل كانت الولايات المتحدة أو روسيا أو غيرها من دول أوروبا تبلغ ما بلغته من ارتفاع فى مستوى معيشتها إذا ظلت مجتمعاتها إنفصالية لايعمل فيها نصف الشعب ويظل أسيرا بين جدران أربعة ؟

والان نتنقل إلى الأخلاق .

الإنفصال لايحفظ الأخلاق : -

إننا نكون أشبه بالنعام إذا اعتقدنا أن ضرب أسوار العزلة بين المرأة والرجل يقيم شرفا أو يحفظ أخلاقا .

أجل نحن أشبه بالنعام فى ظننا هذا ، لأننا ندس رءوسنا فى الرمال لنتعامى عن الحقيقة . . . الحقيقة التى تحاول دائما أن تطرق رءوسنا

بشدة منبهة أن الفضيلة التى تقوم على ضغط لاتعتبر فضيلة وإنما هى تحفز إلى إباحية خطرة وأن الشرف الذى يقوم على كبت لايعتبر شرفا جديراً بأن نطمئن اليه وعليه ، بل هو ثورة فى النفس وثورة فى الجسد لابد أن تنفجر إن آجلا أو عاجلا ، ويكون لانفجارها دويا هائلا يهدم الأخلاق ويزلزل أركان الفضيلة .

ومن يتطرق إليه شك فى صحة كلامى هذا ، فليتفضل بالرجوع إلى التاريخ فإذا هو خير شاهد على هذه الحقيقة ... وليسأله .

ماذا كانت العاقبة عندما كانت الكنيسة تفرض أسوار العزلة بين الجنسين وتمطر الناس كل يوم سيلا من المواعظ ، محذرة من الاختلاط ، ومصورة المرأة بصورة الشياطين ؟ !

سيجيبه التاريخ أن كانت العاقبة إباحية جنسية هبت تدمر أمامها كل شيء وتقتلع بريحها وزوابعها تلك الأسوار الغليظه التى أقامتها الكنيسة ، ولم ترحم البابوات والقسس أنفسهم إذ توجهت إليهم فأطاحتهم عن عرش تقواهم الزائف ووضعتهم على رأس العربدة والفجور .

وفى ذلك يقول « رافائيل سباتينى » :

« أضحى ذلك العصر عاجزاً عن التمييز بين القديسين فى الكنيسة ، والعاهرات فى المدينة ، فسوى بينهم فى التبجيل والتعظيم » .

ولقد حدث فى الإسلام ماحدث فى المسيحية ، فمن منتصف القرن

الثانى الهجرى إلى منتصف القرن الخامس بلغت الإباحية الجنسية الذروة وراجت الشذوذات الجنسية رواجا وبيلا وما عصر أبى النواس بمجهول(١)

فأى أخلاق إذن تحفظ وراء أسوار الانفصال ؟ ! ! وأى شرف ينشأ فى أغلال الكبت المميت ؟ !

والله إننا لنكون أغبى الأغبياء إذا اعتقدنا أن هذه الجدران الأربعة، وهذه الأبواب الغليظة الضخمة ، وهذه الرقابة التى نفرضها على المرأة ، تحفظ أخلاقنا أو تصون شرفنا ! !

فى إمكان الفساد أن يتسرب خلال الجدران ، ويحدث من هـــذه الأبواب ، ويغافل أضخم الحراس والرقباء ... وهذا ما كان يحدث فى عهود الحريم !

يقول الأستاذ اسماعيل مظهر فى كتابه « المرأة فى ظل الديمقراطية » ص ١٠٦ .

« وقد أعلم من عجائز روين لى وشهدن ذلك العصر أن الخصيان كثيراً ما كانوا سعاة للبريد يحملون رسائل الحب والغرام الشفوية ، أو يهيئون فرص الوصال بين محب مغرم وولهة عطشى إلى الحياة .

« وما شأن المرأة فى ذلك الحصن المنيع الذى يحرسه خصى هو

---

(١) أنظر هذا ... أو الطوفان . خالد محمد خالد .

دونها أرومة ومجداً ، بل أنه خادمها والمستبد بها فى آن واحد ؟ أية عقد نفسية تقوم فى نفس المرأة فى مثل هذه البيئة ، وأية أحاسيس تتناوبها وأية خيالات تساورها فى الليل والنهار ؟ أظن أن مثل هذا لاينتج خيراً .

« ولقد كان نتاجه أحد أمرين : إما افراط فى التشهى قد ينقلب ثورة جامحة تبحث لها عن منافذ بين نساء القصر أنفسهن ، أو استغراق فى التعبد هو فى حقيقته تعبير صارخ عن آلام نفسية حبيسة » .

نعود فنسأل المتزمتين عباد التقاليد ... أى فضيلة أو أى اخلاق تتشدونها من تقييد المرأة فى البيت ومنعها من الاختلاط بالرجل فى المجتمع ؟!

إستمعوا إلى عالم جليل هو أستاذنا الدكتور أحمد زكى مدير جامعة القاهرة يقول فى مجلة روز اليوسف :

« إن مايقال من أن الفساد الخلقى يعود إلى اشراك المرأة فى الحياة العامة ، غير صحيح إطلاقا . فلو أننا أمرنا بإختفاء المرأة وتحجبها وخلودها إلى بيتها فهذا لن يصلح من الأمر شيئاً . فان الفساد يقتحم الأبواب ويدخل من النوافذ ويحدث وراء الحجب وأنى أوثر الفساد الظاهر الذى يواجهنى وأواجهه ، عن الداء الخفى الباطن الذى ينخر ولاتراه عين ولاتسمع به أذن » .

الانفصال يورث الشذوذات الجنسية :—

قد يعترف بعض الرجعيين بالحق الواضح وهو أن الانفصال لا يمنع الخطايا الجنسية بين الجنسين . ولكنهم قد يقولون أن هذه الخطايا أقل عدداً فى مجتمعات الإنفصال .

ونحن إذا سلمنا — جدلا — بهذا فلا يمكن أن نتجاهل خطراً واضحا كل الوضوح فى مجتمعات الإنفصال ... ذلك هو تفشى الشذوذ الجنسى . والمجتمع الذى تنتشر فيه عاهة الشذوذ هو المجتمع المنهار أخلاقياً .

ولرب قائل يقول : إن الشذوذ الجنسى موجود أيضاً فى مجتمعات الاختلاط ... فأقول نعم ، ولكنه من القلة الضئيلة التى لا تؤثر فى الأخلاق العامة للمجتمع . كما أن الدولة هناك تقوم فوراً بالقضاء عليه وتطهير المجتمع منه . وتستدل على وجوده من الإحصاءات الجنسية التى تهتم بها اهتماما كبيراً .

أما فى مجتمعات الانفصال فالشذوذ الجنسى يكاد يكون هو القاعدة وعدمه هو الاستثناء ... ففى كل ألف قد تجد فرداً أصيب بهذه العاهة فى المجتمع الإختلاطى ، وقد لا تجده . أما فى المجتمع الإنفصالى فإنك تجد فى كل ألف ثلثمائة أو ربعمائة أصيبوا بهذه العاهة القذرة .

وقد يقال وكيف أصيب من أصيب بالشذوذ فى المجتمعات

الإختلاطية بالرغم من قلتهم الضئيلة ؟ فأقول أن لكل شيء شواذ ، وأن إصابتهم بالعاهة المذكورة مرجعة إلى عيب طبيعى فيهم ، ففى الرجل ٢٠٪ من صفات الأنوثة . وفى المرأة ٢٠٪ من صفات الرجولة فإذازاد هذا الحد أو قل وقع الرجل أو وقعت المرأة فى الشذوذ الجنسى.. وهذا مايحدث فى المجتمعات الإختلاطية إذا وجد عندها شذوذ .

فالشذوذ الجنسى الذى يصيب الرجل أو المرأة فى جو الاختلاط ليس مرجعة الكبت الجنسى كما هو الحال فى الأغلبية المطلقة من حالات الشذوذ فى مجتمعات الإنفصال .

والذى ينكر أن الإنفصال يورث الشذوذ الجنسى ، ينكر حقيقة واضحة وضوح الشمس . ولعله فى حاجة أكيدة إلى قراءة ماذكره « ابن عرب » مؤلف تاريخ « تيمورلنك » ، مما يتصل بهذا الموضوع فى صفحة ٢٢٨ .

فإن « تيمور لنك » لما عاد إلى « سمر قند » واستقر فيها كان قد حمل معه إليها بعض النساء من بغداد . والمؤلف هنا يقول فى ذكر أبنائه وبناته بالحرف الواحد : —

« وبنت تدعى سلطان بخت ، زوج سليمان شاه ، كانت مسترجلة لاتحب الرجال . وذلك لما أفسدها النساء البغداديات ، لما قدمن لسمرقند ولها من تواريخ السوء » .

ولعل من ينكر هذه الحقيقة فى حاجة أيضا إلى قراءة أشعار الشاعر أبى نواس وتاريخ حياته . شاعر تمكنت منه هذه العاهة فأخذ يتغنى بها ويفتخر ولا يجد من يزجره ويحاكمه ، بل وجد من المجتمع الإنفصالى الذى عاش فيه إستجابة ونشوة لهذه العاهة الجنسية ... ولو أن المجتمع فى عهده كان بريئاً من الشذوذ لثار على أبى نواس وقدمه للمحاكمة ، كما ثار المجتمع الانجليزى على أوسكار وايلد وساقه إلى المحاكمة وسجن .

أجل ماذا نقول عن مجتمع يتغنى أعظم شعرائه بالعاهة الجنسية ، ومع ذلك يمجده المجتمع ويجد طربا وانسجاما من الاستماع إلى شعره ؟! قطعا وبكل تأكيد أن هذا المجتمع الإنفصالى تغشت فيه الشذوذات الجنسية بحيث لم يعد يخجل !! . وفى هذا دليل واضح على أن الفصل بين الجنسين قد جعل هذه الجريمة مما يمكن السكوت عنها ، والتسامح مع مرتكبيها .

ولكن أنظروا إلى المجتمعات الاختلاطية ، إنه بالرغم من القلة الضئيلة التى تصاب بالشذوذ فيها ؛ فإن المجتمع هناك لايسكت ولا يدس رأسه فى الرمال كالنعام متجاهلا أمرهم ، بل يشرع فورا فى حشد الأطباء والعلماء الإجتماعيون وعلماء النفس لعلاجهم . مثال ذلك ثورة رجال الكنيسة فى بريطانيا عندما ظهرت بعض حالات الشذوذ الجنسى ومطالبتهم بعلاج الأمر ... وثورة رجال مجلس العموم ومنهم سير روبرت بوثبى الذى طاب بالعلاج السريع .. وفى هذا الدليل القاطع

على أن مجتمع الإختلاط لايسكت على هذه الجريمة ولا يسامح مرتكبها .

أجل إن مجتمعات الاختلاط بريئة من الشذوذات الجنسية إذا إستثنينا بعض الحالات القليلة جداً .. ولكن مجتمعات الإنفصال يكاد يلتهمها هذا الشذوذ التهاما خصوصا تلك المجتمعات التى مازالت تقدس نظام الحريم والحجاب !!

هل سمعتم عن الكبراء هناك يتخذون الصبية عشاقا ؟!. هل سمعتم عن النساء هناك وكيف يتخذن من الجاريات السود والخادمات والصديقات منافذ للشهوات المنحرفة والغرائز الملتوية ؟!

هل سمعتم عن رجل كبير جاءه الشرطة بإبنه وابن أخيه مضبوطين فى فى جريمة شذوذ جنسى ، فما أن علم بذلك حتى هب واقفا وقال :

« إبردى ... حسبتهم طابعين بالتين » .

— أى الحمد لله حسبتهما يشربان الدخان !!. أى أن تدخين الدخان فى هذه المجتمعات الانفصالية أعظم جرما وأشد وزراً من اللواط والسحاق (١) ! .

هل سمعتم عن شباب أطهار كونوا جمعية غرضها الأول مكافحة الشذوذ الجنسى فى بلادهم واتخذوا لهم ناديا عام ١٩٥٠ ولكن كبار

---

(١) أنظر هذا أو الطوفان — لخالد محمد خالد .

رجال الدين هناك حاربوا الجماعة واستصدروا من الحكومة أمراً بإغلاق النادى !

إن نسبة الشذوذ الجنسى هناك — كما ذكرها الأستاذ خالد محمد خالد فى كتاب هذا أو الطوفان — ٨٥ ٪ بين الرجال و٦٥ ٪ بين النساء !!

وفى سنة ١٩٤٦ زار مهندس كبير إحدى هذه البلاد ويحدثنا عنها فيقول أنه تعرف برجل هناك ، قامت بينهما صداقة . وذات يوم رأى صبياً وسيما يسير مع الرجل فظن أنه إبنه وقبله مجاملة . ولكن صاحب الصبى ثار وسبه — أى المهندس — بألفاظ بذيئة ، وسمعه الناس فجاءوا واعتدوا على المهندس بالضرب والركل . وكان المسكين يصيح فيهم أنه لم يفعل شيئاً يستحق عليه هذا الأذى ... ولقد أدرك أخيراً لماذا اعتدى عليه ... ذلك الصبى الوسيم عشيق الرجل وهذا معروف عند الناس ، فلا يحق لأحد أن يغازله .. أما إذا أراد صبيا يرتكب فيه جريمة الشذوذ فعليه أن يبحث لنفسه بنفسه أو يكلف أحدا بالبحث نظير مبلغ يتفق عليه .

وهناك سماسرة يتخصصون لإحضار الصبية إلى الرجال أو إحضار البنات إلى النساء !! والأتعاب تقدر حسب جمال الصبى أوجمال البنت !!

وإن أكبر الكبائر عندهم أن يغازل رجل صبيا معروف أنه مخصص لفلان أو تغازل إمرأة فتاة معروفة أنها عشيقة إمرأة أخرى !!.. هذه جريمة يستحق مرتكبها الاعدام !!

هذه هى صورة مصغرة للمجتمعات التى تفصل بين الجنسين حفظا للشرف ! وحفظا للأخلاق ! وصيانة للفضائل ! . أجل حفظا للشرف وحفظا للأخلاق وصيانة للفضائل .

فما أعظم وما أروع مقاييس الأخلاق والفضائل فى تلك المجتمعات ودعونا نسميها مجتمعات من باب الفكاهة والشفقة ! ! !

سفور المرأة نكبة واثارة للفتنة ، ولكن سحاقها ليس نكبة بل هو فضيلة وأخلاق ! !

واختلاط النساء والرجال فى المجتمع اباحية وفجور ، أما انتشار الشذوذات الجنسية من الانفصال والكبت فليس بعيب ولا بإباحية بل هو الشرف وهو كل فضائل ! !

ألا أن هذه مقاييس للاخلاق والفضائل لم يستطع الأولون أن يهتدوا اليها ولن يهتدى اليها الاخرون ، ولكن يكفى فخرا هذه المجتمعات الانفصالية أن تهتدى اليها وتصنع منها تقاليدا ، تصدرها إلى الخارج باسم التقاليد الشرقية ! !

فلماذا ؟ . . . لماذا نحول مجتمعنا إلى اختلاطى تام ونقلد بذلك الدول الهمجية التى تسود فيها الخراقات والخزعبلات والتى مازالت تعيش بعقلية القرون الوسطى كالولايات المتحدة وروسيا وفرنسا وايطاليا والمانيا والسويد والنرويج وبريطانيا . . الخ ولا نبقى على الانفصال تقليدا

للدول التى بلغت أوج الحضاره والمدنية كالمين والمملكة السعودية ومحميات الخليج الفارسى ؟ ! !

الكبت هو الأب الشرعى للانحرافات الجنسية : ـ

نستطيع ـ إذن ـ أن نخرج بحقيقة واضحة هى أن الانفصال عاجز عن حماية الأخلاق والفضائل ، فكما هو عاجز عن منع الخطايا الجنسية يورث أيضا الشذوذ الجنسى وكافة الانحرافات الجنسية ! !

ولكن كيف تنشأ الانحرافات الجنسية فى مجتمع الانفصال ؟

المعروف أن مثل هذا المجتمع يعتبر المرأة دائما اعتبارا بدائيا . فما أن تذكر المرأة أمام الرجل فى مجتمع كهذا حتى تركبه فكرة الجنس ويتصور أمامه انهيارا خلقيا .. تجد هذا واضحا فى حجج المعارضين لحقوق المرأة ، إذا أنها تستند على الخوف من الفتنة ! ! ! هذا الاعتبار البدائى للمرأة يقوم على أساس مالها من صفات جسدية ، لا على مالها من صفات ومزايا انسانية باعتبارها إنسان مكمل لانسان آخر هو الرجل هذا الاعتبار تعدى إلى حياتنا الخاصة فأفسدها حتى لقد أصبحنا نتزوج لنتمتع بالمرأة مقابل نفقه .. المتعة هى كل شىء فى حياتنا الزوجية وبجانبها الطاعة ، ومن أجل ذلك سمحنا للرجل أن يتزوج من أربعة مخطيات أو يسرى بهن ! ! !

وكل هذا العبث ناتج من النظرة الجنسية البدائية التى اشتهر بها المجتمع الانفصالى المنكوب . . المجتمع الذى يعتبر نصفه البترول الذى يشعل فى رجاله الثورة الجنسية ! ؟ !

هذه النظرة الجنسية تسبب للمجتمع كثيرا من الصداع ؛ ونجعله يعيش دائما فى ذعر من الخطيئة الجنسية التى سترتكبها المرأة حتى فى عرف هذا المجتمع إذا ما اختلطت بالرجال وعملت معهم للدولة

ووسيلة المجتمع فى ابعاد هذا الذعر أن يفصل الجنسين ويضرب بينهما أسوارا ليست بذى باب من التقاليد التى يسمونها التقاليد الشرقية

بيد أن هذا الانفصال يورث شر أنواع الخطيئة والموبقات

ألا وهو الكبت . فمكافحة الرذيلة بالكبت يساوى تماماً مكافحة الحريق بالبنزين .

ولقد عرف كثيراً من علماء النفس والاجتماع فى مصر وفى أوروبا بخطورة الكبت فى الإنسان . . . كالدكتور عباس عمار وزير الشئون الاجتماعية إذ يقول فى جريدة المصرى بتاريخ ٢٩ / ١٢ سنة ١٩٥٣ :

« أنا معترف باخطار الكبت الجنسى ؛ ومسلم بأن لها نتائج خطيرة فى حياتنا الخلقية والاجتماعية ، ومشاكلنا النفسية والجنسية »

أجل ، إن الكبت فى الانسان لمن أخطر الأمور وهو يؤدى إلى

نتائج خطيرة تكفى وحدها لأن تدفع المجتمع إلى الهاوية . . أما هذه النتائج الخطيرة فتتلخص فى :

أولا : إما أن تثور الغريزة الجنسية ثورة جامحة وتنطلق كالعاصفه محطمه أمامها كل السدود والحواجز وينتهى الأمر بشيوع الاباحية الجنسيه وقد ذكرنا لذلك أمثله من التاريخ . . أجل أن الكبت الجنسى كالكبت السياسى تماما . فكما إن الثانى يولد الثورة السياسية كذلك أمور الأول يولد الثورة الجنسية .

وإذا ماظلت الغريزة الجنسية تعتمل فى نفس الشخص وتلح عليه بشدة ، انتهى به الأمر إلى انهيار عصبى يولد منه إضطراب عام فى أخلاق الشخص وأحواله العامة .

ولعل فرويد كان يتجه إلى هذه الحقيقة حين قال أن الرغبات النفسية المكبوتة هى أساس السلوك عند الانسان فى جميع النواحى وأن الغريزه الجنسية تحتل المكان الأول من بين الرغبات الأولى وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية وفى أحوال كثيرة تؤدى إلى اضطرابات عصبية وانهيار نفسى ، (١)

وقد يقول قائل أن علاج هذا هو التدين ! فأقول أن التدين ليس

---

(١) أنظر كتاب علم النفس — للاستاذ الدكتور أحمد فؤاد الاهوانى .

بعلاج بل إنه فى هذه الحالة يصبح مساعد آخر للانهيار العصبى . . . ويغدو ستارا يخفى مرضا عصبيا !! فلا يغرنا إستغراق شاب أو فتاة فى التدين فهما فى الواقع ضحايا من ضحايا الكبت وتدينهما هذا تعبير صارخ عن آلام نفسيه حبيسه .

وإذا أردتم الدليل فانظروا إلى ابن الفارض . . . كان رجلا بلغ فى تدينه الذروة وانقطع إلى عباده الله وجرد حياته كلها من مطالب الجنسى حتى عد من الأبرار الاتقياء . ولكن الحاح الغريزة الجنسية وثورة الكبت فيه ، أدت إلى انهيار أعصابه ، فنسى العبادة ونسى التدين وانطلق يتغزل فى الخمر ، والحان ، والبراقع . وهودج ليلى . والعشق واللذة ، والنهتك ، واهتزاز النهود ، والتلاقى عشية وراء الخيام (١)

كل ذلك فى أبيات من الشعر تدل على أن تدينه لم يحل بينه وبين انهيار أعصابه من الكبت والحاح الغريزه . . . أما هذه الأبيات فمنها(٢)

سكرت بخمر الحب فى حان حبها
وفى خمرة للعاشقين منافع .
تجافت جنوبى فى الهوى عن مضاجعى
ولما جفتنى فى هواها المضاجع

---

(١) أنظر هذا .. أو الطوفان ـ خالد محمد خالد

(٢) أنظر الكتاب السابق

مضيت بركب الحسن بين محامل
وهودج ليلى نورها منه ساطع .
وناديت لما تبدى جمالها
لعمرك ياجمال قلبي قاطع
فمل بي اليها يادليل فانني
ذليل لها في تيه عشقي واقع .
لعلي من ليلى أفوز بنظرة
لها في فؤاد المستهام مواقع .
والتلذ فيها بالحديث ويشتفي
غليل غليل في هواها ينازع .

وهو القائل أيضا .

أصلي فأشدو حين أتلوا بذكرها
واطرب في المحراب وهي أمامي .
تثنت فخلنا كل عطف تهزه
كثيبة مسك تحت بدر تمام .
ولما تلاقينا عشاء وضمنا
سواء سبيل دارها وخيامي .
وملت كذا شيئا عن الحي حيث لا

رقيب ولا واش بزور كلام .
فرشت لها خدى وطاء على الثرى
فقالت لك البشرى بلثم لثامى .

وبتنا كما شاء اقتراحى على المنى
أرى الملك ملكى والزمان غلامى .

إن هذا السيل الجارف من التعبيرات الجنسية المثيرة فى شعر هذا الرجل الذى بلغ فى تقواه الذروه ، لخير رد على القائلين بمعالجة السكبت بالتدين والا لكان أول أن يمنع تدين هذا الرجل . هذا الشعر المثير الذى هو دليل واضح على مافى نفسه من كبت وثورة .

ثانيا : من المحتمل جدا أن تتحول الغريزة الجنسية - عندما تثور إلى طريق غير طبيعى ، أى إلى الشذوذ الجنسى ، وهى لاتتحول اليه الا عندما يجد صاحبها نفسه فى عزلة عن الجنس الاخر بمقتضى تقاليد المجتمع وتزمته فى فصل الجنسين .

ذلك أنه كما قال (فرويد) أن الغريزة الجنسية تحتل المكان الأول من بين الرغبات الأولى وأنها تخمد بالظروف الاجتماعية والتقاليد والتربية وعندئذ تحاول أن تجد لها منفذا تتسرب منه . ولا يكون هذا المنفذ إلا الجنس المماثل .

ويكمن الخطر من الشذوذ الجنسى فى مرحلة دقيقة من مراحل نمو

الشخص ، وهى غالبا مرحلة المراهقة حيث تكون الغريزة الجنسية فى فى طريقها إلى النمو والاكتمال . . . فى هذه المرحلة على وجه الخصوص إذا كبتت الغريزة بالانفصال ، حفرت لها منفذا آخر هذا المنفذ هو الشذوذ . ثم ينتقل هذا الشذوذ مع صاحبه كلما انتقل من مرحلة إلى أخرى من مراحل نموه . وفى كل خطوة من خطواته يتمكن منه حتى يصبح عاهة يصعب جدا التخلص منها ، فإذا وجدنا رجلا أو امرأة نكب بهذه العاهة فلنرجع إلى الماضى حيث مرحلة المراهقة لنجد انحرافه قد ابتدأ منذ ذلك الوقت .

لذلك من السهل جداً معالجة فتى فى سن المراهقة وقع فى الشذوذ وكذلك معالجة الشاب . ولكن الأمر يصعب جداً مع رجل بلغ الأربعين من عمره مثلا مصابا بالشذوذ . ذلك أنه عند الفتى أو الشاب لم تصبح عاهة ولكن عند الكهل اصبحت عاهة .

أعرف - منذ ثلاث سنوات - شابا تخرج من كلية الزراعة ، أصيب بالشذوذ .

وحيث أمضى عشرين سنة فى مدينة المنيا لايختلط بامرأة أو فتاة . عالج نفسه وتطهر من هذه الوصمة التى سببت له إضطرابا نفسيا ، بالتعرف على فتاة تعمل فى إحدى المحلات التجارية . وكان يذهب فى أيام الأحد والثلاثاء والخميس إلى مدرسة روبير للرقص فى ميدان سليمان باشا حيث

يتمرن ساعة أو ساعتين على الرقص مع الفتيات .. إعتدلت غريزة هذا الشاب بعد ذلك وصار لايأنف من الاختلاط كما كان فى الماضى ، بل لاتفوته مناسبة كمناسبة (الكريسماس) أو (عيد رأس السنة) إلا ويدعو صديقاته وأصدقاءه إلى حفلة ساهرة يقيمها بمنزله ويرقصون جميعا .

كيف كان هذا الشاب يستطيع معالجة شذوذه لو لم يختلط ؟ بالمواعظ الدينية ؟ ..أم بالتدين ؟ !

إن الغريزة الجنسية كغريزة الجوع ... فأنت إذا منعت شخصا عن الطعام حتى كاد أن يموت جوعا ، فسوف يظل يبحث عن الطعام مدفوعا بجوعه وسوف يلتهم مايجده أمامه إلتهاما ولو كان من أقذر أنواع الطعام. تلمس هذا فى الأطفال العرايا البؤساء الذين يندفعون — بجوعهم — نحو صناديق القمامة يبحثون فيها عن قاذورات يلتهمونها إلتهاما .. كذلك الجوع الجنسى يدفع صاحبه إلى أن يبحث له عن منفذ يشبع منه ولوكان هذا المنفذ يؤدى إلى الشذوذ ! .

وقد يقول قائل : لقد كان لايسمح للمرأة قديما بأن تطل برأسها من نوافذ الجدران !! فلماذا لم يصابوا بالشذوذ .

وردى عليه . أن الشباب فى الماضى كان يتزوج سريعا ويندر من كان يتأخر إلى مابعد الخامسة والعشرين ، وكانت الفتاة تزف إلى بيت زوجها بمجرد أن يأتيها الحيض . فلم يكن هناك شذوذ لهذا السبب ... وأن كان

البعض ممن تجاوزوا سن الخمسين يؤكدون لنا بوجود الشذوذ وقتئذ . وسواء كان موجوداً أم لم يكن . فالحقيقة التى لا نستطيع أن نتعامى عنها أن شبابنا الآن لم يعد فى قدرته الزواج مبكراً لأسباب إقتصادية بحته وفى سن المراهقة بالذات .. ولا يوجد فتاة فى الوقت الحاضر تتزوج فى هذا السن . فالحياة الزوجية لم تعد لعبه يلعب بها زوجان كل منهما فى سن المراهقة !!

إذن ماذا يفعل الشباب والفتيات ؟ !

أندعوهم إلى الزنا ؟ ! أم نتركهم فريسة للشذوذ الجنسى ؟ ! لا هذا ولا ذاك . فعلاج الكبت بالزنا كعلاج الجوع بالطعام السام . وكذلك المجتمع الذى تنتشر فيه الشذوذات الجنسية مجتمع فاسد منهار .

إذن العلاج الذى نقترحه هو : —

١ — الاختلاط

٢ — الرياضة والهوايات الأخرى

٣ — الثقافة الجنسية

٤ — العمل وقت الفراغ

١ — الاختلاط : —

هو العلاج الأول للكبت ولجميع الانحرافات الجنسية .. فمن حيث

الشذوذ الجنسى يفقد مقومات بقائه فى ظل الاختلاط اللهم إلا إذا كان الشخص مصابا بعاهة طبيعية كما وضحنا سابقا وعجز الطب عن علاجه ... أجل الاختلاط هو المطهر النفاث الذى يطهر المجتمع من الشذوذ لأنه يعود الشاب الاتجاه نحو الفتاة فقط ، فهو يقود غريزته الجنسية نحو هدفها الطبيعى . وكذلك الشأن فى الفتاة .

ولنا فى ذلك أدلة من الواقع المشاهد .. فالشذوذ فى مصر أقل منه كثيراً فى بلاد مجاورة عريقة فى الانفصالية حيث تبلغ نسبة الشذوذ ٨٥ ٪ بين الرجال و٦٥ ٪ بين النساء .

وفى مصر نفسها نجد الشذوذ ينعدم فى الريف ، بينما يعيش فى المدن وخصوصا المدن التى نالت حظاً وفيراً من الانفصال والتقاليد .. وذلك لأن القرى ينشأ أهلها على الاختلاط الطبيعى بين الجنسين منذ الصغر بعكس المدن التى مازالت تحيا فى بلبلة جنسية وذعر دائم من الخطايا الجنسية .

وأن إنعدام الشذوذ الجنسى فى الريف خير رد على الذين لايعترفون بأن الاختلاط مطهر للمجتمع من جراثيم الشذوذ .. وإلا فليخبرونا لماذا لانجد شذوذات فى الريف بينما نجدها فى المدن ؟!

أما من ناحية الاباحية الجنسية بين الجنسين فالاختلاط المهذب الذى يقوم على أساس الصداقة والتعاون والأخلاق كفيل بأن يحصن المجتمع ضد هذه الاباحية .

وقد يسألنا القارئ : ألن تحدث جرائم جنسية أيضا ؟ .. فأجيبه ، نعم . فليس هناك مجتمع يخلى من الشرور ، ولكن ستكون هذه الجرائم الجنسية قليلة لاتسبب القلق على الأخلاق العامة . وفى الريف أيضا تحدث خطايا جنسية ولكنها من القلة بحيث لاتسبب الذعر على الأخلاق العامة للقرية .

وإنى أسأل بدورى خصوم الاختلاط :

ألم تحدث — وما زالت تحدث — جرائم جنسية مثيرة وبكثرة مرعبة بين الجنسين فى مجتمعنا الانفصالى ؟ !

هل تنكرون أن عندنا آلافا من الأطفال غير الشرعيين ؟ !

إذا أنتم أنكرتم فتفضلوا بزيارة ملاجئ اللقطاء ، ولو أننا كنا نهتم بعمل احصاءات دقيقة لاتضح الكثرة المرعبة فى عدد الأطفال غير الشرعيين ... وإذا اعترفتم ، عدنا نسألكم : كيف جاء هؤلاء الأطفال من سفاح ونحن نعيش فى مجتمع ضرب أسوار العزلة بين الجنسين ؟

إعترفوا إذن أن الخطايا الجنسية ترتكب أيضا وبكثرة فى أشد البلاد تمسكا بتقاليد الانفصال ، وحسبكم أن تقرءوا عن الحوادث التى تنشرها الصحف . فهذا قتل أمه لأنه لاحظ اعوجاجا فى سيرها ... وهذا ذبح شقيقته لأنها حملت سفاحا .. وذاك قتل إبنته لأنها لم تكن حسنة السير والسلوك .. وأين تحدث هذه المآسى ؟ فى أشد البلاد تمسكا بالانفصالية . فى مدن تعتبر أن الشرف كل الشرف فى سجن المرأة فى أظلم بقعة فى دارها .

إذن لا تفكروا تفكيرا سطحيا ساذجا ولا تقولوا أن الإنفصال يحمى الأخلاق ويحافظ على الفضائل . فها قد رأيتم أن ماتخشون حدوثه فى ظل الاختلاط واقع فعلا فى ظل الإنفصال ، وإن كان مستترا تحت ستار النوافذ وجدران المنازل .

ومجتمعنا الان يسير نحو الاختلاط ، وهو إن كان حتى الان إنفصاليا إلا أنه سيتحول إلى اختلاطى تام إن عاجلا أو آجلا رضى الرجعيون أم كرهوا . فليس من الحكمة إذن أن نتجاهل الأمر الواقع وندس رءوسنا فى الرمال لكى نتعامى عنه . وإنما الحكمه هى أن نقيم للامر الواقع وزنا ونسرع بمسك الزمام جيدا قبل أن يفلت منا وتكون العاقبة وخيمة ، ولنبدأ فى تنظيم الاختلاط بدل أن نحاربه ونفشل ونجعل منه فنا ومنهاجا وفلسفة . . . وكم يكون جميلا لو تولى تنظيمه ورسمه خبراء فى التربية والاجتماع من الرجال والسيدات ..

وفى رأى أن خير أنواع الاختلاط هو الذى يزامل الجنسين منذ الصغر وينتقل معهما إلى كل مرحلة من مراحل الحياة كما هو الحال فى الريف .. .. مثل هذا الاختلاط يولد الصداقة والتعاون والحب الشريف ، فالولد الصغير عندما ينشأ وبين أترابه فتيات صغيرات يستطيع أن يتعود عندما يصل إلى مرحلة الشباب على أن المرأة ليست متعة محرمة وإنما هى إنسانه كاملة كأحد أصدقائه وفى هذا الجو النظيف

يستطيع أن يوجه غريزته إلى عاطفة كريمة محترمة تربطه بإحدى الفتيات لتنتهى بهما إلى الزواج ..

هذه العاطفة هى عاطفة الحب : ولن نستطيع أن نبنى مجتمعنا الا اذا احترمنا الحب واعترفنا به وأفسحنا له المجال فى بيوتنا وتحت رعاية آبائنا وأمهاتنا »(١) ..

وطبقا لهذا يجب اباحة الاختلاط — أيضا — فى جميع مراحل الدراســة ..

ولخصوم الاختلاط اعتراضات ثلاثة ليس فيها اعتراض واحد جدى . ويجدر بنا أن نستعرض هذه الاعتراضات ونناقشها

أولا . يقولون أن الجمع بينهما قد يؤدى الى مالا تحمد عقباه من الوقوع فى شرك الحب والاختلاط الجنسى الذى قد يؤدى الى نتائج وخيمة خصوصا فى فترة المراهقة .

وهذا الاعتراض مردود فآراء معظم علماء النفس وعلماء التربية والاجتماع تتفق على أن المدارس التى يختلط فيها الجنسين يكون الخطر فيها أقل — بكثير — مما هو متوقع(٢) لأنهما يتعودان رؤية بعضهما

---

(١) الاستاذ احسان عبد القدوس فى مقال له عن الكبت الجنسى بجريدة المصرى

(٢) انظر كتاب نفسية المراهق وتربيته — الاستاذ الدكتور رياض عسكر

فلا يكون لأحد الجنسين تأثير غريب على الجنس الآخر، خصوصا إذا كان الجنسان قد اختلطا قبل ذلك منذ طفولتهما. ذلك التأثير الواضح الذى نراه فى الأوساط التى لم تتعود الاختلاط، عندما تختلط لأول مرة. لأن الانفصال دائما يثير الرغبة فى الاستطلاع أو كما يقول المثل المشهور «كل ممنوع مرغوب».

يقول الأستاذ الدكتور رياض محمد عسكر فى كتابه نفسية المراهق وتربيته فى ص ١٩٢ ما يأتى:

«وإن خبرتنا الخاصة بالجامعات الأوربية لتؤيد تلك الحقيقة — أى الحقيقة التى ذكرناها سابقا — فهذه تغذيها مدارس من نوعين، بعضها يختلط فيه الجنسان، والبعض الآخر خاص بجنس واحد. حتى إذا أتى الصنفان إلى الجامعة اختلطا طبعا من غير تمييز. فلاحظنا، كما لاحظ غيرنا، أن الفتيان والفتيات الذين أتوا من مدارس مختلطة، يكونون أكثر رزانة واعتدالا فى سلوكهم مع الجنس الآخر. فقد يكتفى الواحد منهم من بين الجمع الحاشد من الطلبة والطالبات، بصديق أو صديقين من الجنس الآخر، ممن تكون الصداقة قد بدأت معهم فى المدارس الثانوية. أما الذين أتوا من مدارس من جنس واحد، فيشاهد إقبالهم الشديد على الجنس الآخر، والتعرف بأفراد كثيرين على الأخص فى أول عهدهم بالجامعة. وقد ينهمك بعضهم فى تلك الناحية بدرجة يتعذر معها استمرارهم فى الدراسة. وهذا ما حدث فعلا فى بعض الحالات».

ويقول الدكتور أيضا فى ص ١٩٣ :

« ويميل كثير من الأطباء الذين مارسوا علاج الاضطرابات العصبية والشذوذ الخلقى ، وكذلك الكثيرون من علماء الاجتماع إلى تعضيد الجمع بين الجنسين واعطائهم فرصة للتعارف فيقول أحدهم فى هذا الصدد ، إن من حق الفتيان والفتيات أن يتعلموا جنبا إلى جنب . فان الفتيان إذا نشأوا لا يعرفون سوى الفتيان ، والفتيات لا يعرفن سوى الفتيات . كان من الصعب تربية كل منهما تربية خلقية سليمة من الشوائب » . ولعله هنا يشير إلى الشذوذ الجنسى الذى ينشأ من الانفصال .

ويقول آخر : « هناك كثير من الجدل حول الجمع بين الجنسين فى التعليم ، لكن من حسن حظ الحياة العائلية ، أن الغالبية متجهة الآن نحو الجمع بينهما .. فالرغبة الجنسية شيء طبيعى عادى فى دور المراهقة فلا الجمع بينهما ينشئها من العدم ، ولا الفصل يميتها ويمحوها من الوجود فهى تظهر لأنها من خواص ذلك الدور .

وليس لدى الهيئة الاجتماعية لعلاجها طريقة أفضل من إيجاد الفرصة للتعارف بينهما فى ظروف طبيعية لا يخفها الشك ألا وهى البيئة المدرسية . فالمدرسة التى تجمع بينهما بيئة طبيعية . أما التى تفصل بينهما فليست طبيعية » .

ولعل المقارنة بين الجامعة الأمريكية بالقاهرة والجامعات المصرية الثلاث ، يهدم الاعتراض المذكور الذى يواجهنا به الرجعيون .

فى الجامعة الأمريكية أدى الاختلاط إلى وجود التعاون المطلق ، والزمالة الصحيحة والاتزان الكامل بين الطلبة والطالبات — حيث لاتسمع عن حوادث اخلاقية أو اشاعات على الطالبات أو ما أشبه .. وهذه هى الروح الجامعية المثلى ، يمثلها الجنسان .

بينما لانجد التعاون المنشود ولا الصداقة البريئة ولا الزمالة الحقة بين الطلبة والطالبات فى الجامعات المصرية . تجد إشاعات كاذبة مغرضة أو حوادث أخلاقية ظاهرة أو مستترة ، وانعدام الروح الجامعية هو الأساس فى الجامعات الثلاثة . ما السبب فى هذا الاختلاف الظاهر ؟

السبب واضح كل الوضوح إن لم نغمض أعيننا أمام الحقيقة ! ... السبب أن طلاب وطالبات الجامعة الأمريكية نشأوا فى بيئات اختلاطية ، واختلطوا فى مراحل الدراسة السابقـــة ، فهذبهم الاختلاط وعلمهم التعاون والاحترام ، فلما اختلطوا كان هذا أمر أعاديا طبيعياً بالنسبة لهم.

أما طلاب وطالبات الجامعات المصرية فعلى العكس ، نشأوا فى بيئات إنفصالية ، وتعلموا فى مدارس انفصالية ، فلما اختلطوا ، لم يفهموا الاختلاط ، فأساءوا إليه ... انطلقوا دفعة واحدة نحو حياة جديدة لم يفهموها ، ووجدوا أمامهم بعد عشرين سنة قضوها لايختلطون بالفتيات . أقول وجدوا لأول مرة معهم فتيات ، فاتجه تفكيرهم واتجهت حواسهم كلها إلى هذا الذى حرموا منه ثم وجدوه فجأة أمامهم .. هؤلاء يشبهون شخصاً ظل مدة طويلة فى مكان دافىء لايتسرب إليه الهواء

نخرج فجأة إلى الشارع فأصابه البرد والزكام .. ولكن لو أنه قبل أن يخرج إلى الشارع - فتح زجاج النافذة واستنشق كمية أكبر من الهواء وهكذا حتى خرج إلى الشارع ، ما أصابه البرد والزكام .

من أجل هذا كان الاختلاط واجباً فى المدارس الابتدائية والثانوية قبل الجامعات .

ثانياً : يسوق الرجعيون اعتراضهم الثانى وينلخص فى أن اجتماع الشبان والشابات فى المدارس قد يشغلهم عن دروسهم وعلى الأخص من يقع منهم فى الحب فنكون بذلك قد أوجدنا للفتى وللفتاة شاغلا ما كان أغنانا عنه ، فى وقت هما أحق ما يكونان فيه بتوجيه عنايتهما واهتمامهما نحو دروسهما وصحتهما .

والرد على هذا الاعتراض أن الاختلاط ان يشغلهما عن دروسهما . بل هو الانفصال الذى يشغلهما عن دروسهما بل عن حياتهما أيضاً .

فقد ثبت أن الانفصال يورث الكبت ، وكما قلنا أنه يولد إضطرابا خطيرا فى نفوس شبابنا وفتياتنا ... بينها الدكتور محمد فتحى أستاذ علم النفس الجنائى بجامعة القاهرة وهى :

١ — قلقا عصبيا ينتاب نفس الشاب أو الفتاة من حين لآخر .

٢ — أرقا أثناء النوم .

٣ — ضعيفا فى الشهية .

٤ — شعور بمخاوف مبهمة .

٥ — سرعة فى ضربات القلب .

٦ — ضيقا فى الصدر .

٧ — إختناقا فى الحنجرة .

٨ — خوفا من المرض أو الكوارث .

ونستطيع أن نضيف أثرا آخر من آثار النكبت الخطيرة ، هو العادة السرية التى يلجأ إليها تسعين فى المائة من شبابنا وفتياتنا ويريقون بها ماء حياتهم ، ويهدمون بها صحتهم وحيويتهم .

فأليس كل هذا — ياحضرات الرجعيين — هو الذى يشغل الفتيان والفتيات عن دروسهم ، ويصرف كمية كبيرة من نشاطهم وحيويتهم إلى مسائل جنسية كان الأجدى أن توجه إلى دروسهم والعناية بصحتهم .

فاذا عرفنا أن هذه الاضرار الخطيرة تنتاب شبابنا وفتياتنا إبتداء من سن المراهقة وتستمر معهم حتى يتزوجون ، وهى فترة لاتقل — باعتراف علماء النفس والاجتماع — عن خمسة عشر عاما ، أمكننا أن ندرك خسارة المجتمع من جراء إنفصال الجنسين فى مراحل الدراسة .

فالمجتمع الذى يعيش شبابه وفتياته أزهى سنوات عمرهم فريسة القلق والأرق وضعف الشهية وضيق النفس والمخاوف العصبية وانحراف غرائزهم نحو الشذوذ الجنسى والخلق والعادة السيرية ، تضيع عليه بغير شك

طاقته إنتاجية هائلة كان من الممكن أن يستفيد منها لو تحرر أصحابها من هذه المتاعب .

وقم بجولة صغيرة حول مراحيض المدارس التجد كوكتيلا رائعاً من العبارات الجنسية المثيرة منبثة على الجدران كالمسامير وكلها تدل على ثورات نفسية تنشب فى نفوس هؤلاء المساكين . بل أن بعض هذه العبارات تدل دلالة أكيدة على أن الشذوذ الجنسى له مكاننا مرموقا عنده طلابنا وطالباتنا !!

ثم قم بجولة أخرى حول مدارس البنات لترى كم من الطلبة دفعهم الكبت إلى الهروب من مدارسهم وذهبوا كالذئاب الجائعة يتلمسون فى رؤية الفتيات عند خروجهن ودخولهن وسيلة لتصريف هذا الكبت القاتل ، واطفاء ثورة الحرمان المدمرة .. ولعل بوليس الآداب قد أدرك التعب من مطاردتهم !!

هذه حقائق نهديها إلى من يقولون أن اختلاط الجنسين يصرفهما عن درسهما . أجل .. إن الاختلاط فى المدارس يصرف هذا الكبت ويرد سكينة النفس وسكينة العقل ، ويحرر شبابنا وفتياتنا من آلامهم النفسية والعصبية ، فيستطيعون إذن أن يقبلوا على دروسهم بهمة ونشاط .

وهو فوق ذلك ، وسنكرر هنا ونعيد ، صارفا للشذوذ ، ولظواهره التى انتشرت فى مدارس البنات والفتيان .

اسمعوا الدكتور رياض محمد عسكر يقول فى كتابه نفسية المراهق ص ١٦١ ، ١٦٢ .

« هناك ظاهرة كثيرة الانتشار فى المدارس التى لايجتمع فيها الجنسان وهى حب غير مجدد ، يتجه نحو فرد من أفراد نفس الجنس . وقد يصل الأمر إلى الغيرة على ذلك الشخص . والخوف عليه من الاتصال بأى شخص » .

وهذا هو الشذوذ الجنسى الذى نحذر منه !!

ثالثاً : الاعتراض الثالث الذى يوجهه المتزمتون : أن قوى الجنسين العقلية ليست متساوية ، ولهـــذا لايجوز الجمع بينهما فى فصل واحد وتعليمهما بطريقة واحدة .

هذا الاعتراض كذبه الواقع ، فنتائج الامتحانات فى الجامعات والمدارس تثبت بالبرهان الأكيد عدم وجود تفاوت فى عقلية الطلبة والطالبات .

وإذا هم رفضوا تصديق الواقع المشاهد ، فليسألوا إذن وزارة المعارف لماذا ألغت السنة السادسة الدراسية من مدارس البنات وساوت بينها وبين مدارس البنين فى عدد السنين الدراسية ... وإذا هم لم يسألوا ، فلينظروا إلى الحقائق السيكولوجية .

يقول الدكتور (سيرل بيرت) تلخيصاً لنتائج أبحاثه ما يأتى :

« إن الفروق بين الجنسين من حيث الذكاء طفيفه جداً أثناء سنى الدراسة ، ولم يظهر البحث حتى الآن أية فروق بينهما فى المدارس التى يختلطان فيها فى حجرة الدراسة ، يعلمها معلم واحد تبعا لمنهج واحد) .

وقد قام (ترمان) بأبحاث ـ فى هذا الصدد ـ بالولايات المتحدة . فوجد أن البنات بوجه عام تتفوق قليلا من حيث الذكاء على الصبيان فيما بين سنى الخامسة والثالثة عشرة ، غير أن هذا الفرق كان قليلا لدرجة تبيح اهماله فى الأمور العملية .

وخرج ترمان من أبحاثه بنتيجة ، وهى أن متوسط ذكاء النساء والفتيات يعادل فى المتوسط ذكاء الرجال والصبيان .

ونقتطف هنا شيئا من تقرير اللجنة الاستشارية لوزارة المعارف الانجليزية التى طلب منها سنة ١٩٢٠ أن تضع تقريراً عن موضوع التفرقة بين الجنسين ، من حيث البرامج فى المدارس الثانوية فقالت :

(لم نستطع بعد البحث أن نجد فروقا بين الجنسين ، يعتمد عليها فى بناء سياسة تعليمية خاصة . نعم صادفنا أقوالا ساذجة عامة ، يشتم منها وجود تفرقة بين الجنسين ، ولكننا لم نقتنع بشىء منها . وقد أكد لنا الشهود الذين استشرناهم فى الأمر ، أن الصبى يختلف عن الصبى ، والبنت تختلف عن البنت ، أكثر من اختلاف الصبيان فى مجموعهم عن البنات فى مجموعهن وكلما أيد شاهد تفوق الصبيان فى ناحية من النواحى عادله شاهد آخر بتفوق البنات فى تلك الناحية أيضا ، وليس من السهل أن يمتنع المرء عن التحيز لأحد الجنسين) (١) .

رابعاً : الاعتراض الرابع الذى طالما لجأ إليه خصوم الاختلاط مستمد من التقاليد !!

---

(١) راجع كتاب نفسية المراهق وتربيته — للدكتور رياض عسكر .

وليس لنا رد عليهم هنا ، أكثر من قولنا أن هذه الأمة لن تتقدم من الناحية الاجتماعية طالما هي تتمسك بتلك التقاليد التي لم يعد يعترف بها التطور فعلى هؤلاء أن يصحبوا معهم تقاليدهم تلك ، كلما هموا بالذهاب إلى المراحيض ليتبولوا عليها .

٢ — الرياضة :

تأتي الرياضة في المقام الثاني لمعالجة الكبت وتهذيب الغرائز الجنسية ، وقيادة العواطف في ثمن وروية ، وبث الزمالة الصحيحة والصداقة الانسانية بين الجنسين .

ونحن نلمس هذا في الشبان والفتيات الذين يمارسون مختلف أنواع الرياضة في النوادي الرياضية :

ونحن حين ندعو شبابنا إلى الرياضة ، ندعو أيضا فتياتنا إلى فك أغلال التقاليد والانطلاق إلى النوادي مع الشباب ليقضي الجميع أوقات الفراغ فيما يفيد أجسامهم وصحتهم .

وحين أقول الرياضة لا أعني الرياضة الجسمية فقط ، بل أيضا الرياضة النفسية والعقلية ، وهذه تتوافر في نوادي خاصة يقصد اليها الجنسان يمضون أوقات فراغهم في الهواية المفيدة كالقراءة أو الموسيقى ، ويتعرفون ببعضهم . والاسف أن مثل هذه النوادي غير متوافرة في مصر !

وإلى أن توجد ، يمكننا إقامة حفلات للتعارف بين شبابنا وفتياتنا في منازلنا وتحت رعاية آبائنا وأمهاتنا .

(٣) الثقافة الجنسية : -

أدركت الدول المتمدنة أهمية الثقافة الجنسية فى حياة الفرد العامة والخاصة فأدخلتها ضمن البرامج الرئيسية فى الجامعات والمدارس وذهبت إلى أبعد من ذلك فاهتمت بإيجاد خبراء فى المسائل الجنسية قدر اهتمامها بإيجاد خبراء فى الصناعة والزراعة والإقتصاد . واهتمت أيضا بعمل إحصاءات فى المسائل الجنسية . فإذا رأت أى انحراف جنسى بدأ يتحرك فى الشعب سارعت بالقضاء عليه وتطهير المجتمع منه .

وأمثلة ذلك (١) .

أجرت جامعة موسكو بحثا هاما لمعرفة البرود الجنسى وأسبابه بين الفتيات وتبين أن ٤٣٪ مصابات بالبرود الجنسى ، ومعنى ذلك أن ٤٣٪ لن يصلن لبناء حياة زوجية سعيدة : وفى الحال جندت الدولة الأطباء والخبراء وبدأت فى العلاج .

وفى عام ١٩٤٨ ، ١٩٤٩ قامت جامعة برلين بعمل احصاء مماثل للنفس الموضوع فوجدت أن ٣٤٪ لا يكترثن بالإتصال الجنسى و٢٢٪ ينفرن من هذا الاتصال . فما الذى حدث بعد هذا الإحصاء مباشرة ؟ جندت الدولة الأطباء وبدأت فى العلاج فورا .

وفى سويسره اكتشف المسئولون أن بعض النساء فى المقاطعات

---

(١) أنظر كتاب هذا أو الطوفان — الحالة الجنسية — محمد خالد — جـ ١ ص ١٧٣ — ١٧٤ .

الشرقية يعانين برودا جنسيا فعالجوهن . وحين وجدوا أن ٥٠٪ منهن يجهلن الشبق جهلا تاما سارعوا بعلاجهن أيضا .

بجانب هذا انتشرت «عيادات الإرشاد» أو العيادات السيكولوجيه لعلاج الاضطرابات الجنسية التى قد تقع عند الشبان والفتيات . . . أجل انتشرت تلك العيادات فى الولايات المتحدة وانجلتره وفرنسا وسويسره وإيطاليا وغيرهم من الدول الأوروبية . وبكل عيادة طبيب نفسانى وأحد علماء النفس وباحثه اجتماعية واخصائيون آخرون فى التربية والتدريب واللعب إلى غير ذلك ، وقد يجمع الشخص الأول فى نفسه الطب البدنى والعلاج النفسى . وإلا فلابد من وجود طبيب اخصائى ويدرس الطبيب النفسانى نفسية المريض وغرائزه وانفعالاته ووجداناته ووجهته فى الحياة . أما الإخصائى فى علم النفس فيدرس قدرة المريض العقلية ومواهبه الخاصة والعامة والذكاء والتذكر ، والخبل . أما الباحثة الاجتماعية فعلها أن تدرس البيئة التى يعيش فيها المريض ، وتستطيع أن تتصل بأبيه وأمه وجيرانه وأقرانه ، وتسألهم عن تاريخ حياته منذ الولادة حتى تستطيع أن تعرف تاريخ حياة المرض ومصدره والظروف التى ولد فيها المريض والتى ربى فيها ، وطبعا تحاول معرفة أخلاق كل من الأب والأم وعلاقتهم الواحد بالآخر إلى غير ذلك مما له تأثير على نشأة الطفل وحياته الحاضرة والمستقبلة(١).

---

(١) أنظر نفسية المراهق وتربيته — الدكتور رياض عسكر

هذا هو مايحدث فى البلاد المتمدنة . ثقافة جنسية فى المـــدارس والجامعات . وتربية جنسية صحيحة للشعب .

ولـكن مصر مازالت تجهل أهمية المسائل الجنسية فى كيان الشعب فمنعت الثقافة الجنسية من مدارسها وجامعاتها . وللاسف الشديد لا يوجد فى مصر عيادة سيكولوجية واحدة ! !

ولعل علة منع الثقافة الجنسية من المدارس والجامعات ترجع إلى الخوف على الأخلاق العامة فى المجتمع . وهذا الخوف لامبرر له إذ لايؤدى بحال من الأحوال إلى أى أضرار بالناحية الخلقية. فى كلية الطب مثلا تدرس الموضوعات الجنسية سواء من الناحيـة التشريحية أو من الناحية البيولوجية للطلاب والطالبات بشكل متوسع فيه ، ومع ذلك لم تؤد إلى تلك الأضرار التى يزعمها بعض النـاس ، بل لعلها أدت ببعض الطلبـة إلى الإبتعاد عن نواح كثيرة ضارة بأنفسهم لم يكونوا ليفهموها لو لم تدرس إليهم .

ولقد أقر كثيراً من علماء التربية والاجتماع وأساتذة علم النفس بالجامعات المصرية بضرورة إدخال الثقافه الجنسية مدارسنا وجامعاتنا

لماذا ننتظر ؟

ان نشر المعرفة الجنسية بين شبابنا وفتياتنا يهدم أوكار الرذيلة ويرد سكينة النفس وسكينة العقل الى هؤلاء الذين يذهبون بحيرتهم وقلقهم الى الانحرافات الجنسـية الخطرة .

وبعد .

لقد انتهت الرحلة التى بدأناها معا أيها القارىء الكريم ، وسيمضى كل منا إلى طريقه . وإذا كان عندى كلمة باقية فهى أننى ماقصدت من إصدار هذا الكتاب إلا خدمة الحق الذى يدعونا إلى نبذ الأفكار الرجعية والآراء المتزمتة وتطهير مجتمعنا منها . الحق الذى يدعونا حثيثا إلى الاعتراف بقوة التطور وأهمية التقدم الاجتماعى .

أجل . . إن للتطور قوة جبارة تصفر إجانبها كل قوة !

أتريد أن تعرف لماذا ؟ . . لأنه إرادة الطبيعة وسنة الحياة . . . لأنه إرادة الله فى أن تتقدم البشرية وترتقى .

وبحق بلدنا علينا نقسم أن الرجعية لو جمعت فلولاها من مشارق الأرض ومغاربها ، ولو أمطرتها السماء مددا ، ولو قذفت لها الأرض نجدة بعد نجدة ، لن تستطيع أبدا أن تعوق زحف التطور . وإذا ماهى ظنت بسذاجتها وغبائها أنها قادرة على ذلك وقادرة على أن تقتل الأفكار الجديدة والآراء الحرة ، فهى فى ظنها هذا ، أشبه بذاك الذى يشد طائرة من ذيلها على وشك الإنطلاق ؛ ظنا منه أنه قادر على أن يمنعها من الطيران .

[redacted]
الهرميل ،محمد
لن نرجع الى الوراء ابداً
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01012959

American University of Beirut

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
UT VITAM HABEANT ABUNDANTIUS HABEANT
1866
الجامعة الاميركية في بيروت

[redacted]

General Library